

مكتبة ابن تيمية
القسم الأول - المؤلفات

٦

جامع الرسائل

لابن تيمية

أبي العباس شمس الدين أحمد بن عبد الحلیم

المجموعة الثانية

محقق
الدكتور محمد رشاد سالم

الناشر

دار المعرفه

للنشر والتوزيع - جدة ت ٦٤٣٢٣٦٢

الرسالة الأولى
رسالة في الصفات الاختيارية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، نستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وآله وسلم تسليما [(١)] .

ط ٧٢ / (٢) قال شيخ الإسلام أبو العباس تقي الدين بن تيمية ، قدّس الله روحه ، ونور ضريحه (٢) .

فصل

في الصفات الاختيارية : وهي الأمور التي يتصف بها الرب عز وجل (٣) ، فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته : مثل كلامه ، وسمعه ، وبصره ، وإرادته ، ومحبته ، ورضاه ، ورحمته ، وغضبه ، وسخطه . ومثل خلقه وإحسانه ، وعدله . ومثل استوائه ، ومحيته ، وإتيانه ، ونزوله ، ونحو ذلك من الصفات التي نطق بها الكتاب العزيز (٤) ، والسنة .

مقالة الجهمية والمعتزلة
فالجهمية (٥) ، ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم ، يقولون : لا يقوم بذاته شيء من هذه الصفات ، ولا غيرها .

(١) ما بين المعرفتين زيادة في (ز) = مخطوطة لبيزج .

(٢ - ٢) : ساقطة من (ز) .

(٣) عز وجل : ليست في (ز) .

(٤) العزيز : ساقطة من (ز) .

(٥) سبق الكلام على جهم بن صفوان وفرقة الجهمية فيما مضى ١٦/١ (ت ١) .

والكَلَّابِيَّة (١) ، ومن وافقهم من السَّالِمِيَّة (٢) وغيرهم ، يقولون : تقوم [به] (٣) صفات بغير مشيئته وقدرته ، فأما ما يكون بمشيئته وقدرته ، فلا يكون إلا مخلوقاً منفصلاً عنه [لا يقوم بذات الرب] (٤) .

مقالة الكلابية
والسالمية

وأما السلف وأئمة السنَّة والحديث فيقولون (٥) : إنه متصف (٦) بذلك ، كما نطق به الكتاب والسنة ، وهو قول كثير من أهل الكلام والفلسفة - أو أكثرهم - كما [قد] (٧) ذكرنا أقوالهم بألفاظها في غير هذا الموضوع .

مقالة السلف
وأهل السنة

ومثل هذا « الكلام » فإن السلف وأئمة السنَّة والحديث يقولون : [إنه] (٨) يتكلم بمشيئته وقدرته ، وكلامه ليس بمخلوق ، بل كلامه صفة له قائمة بذاته .

صفة الكلام

ومن ذكر أن ذلك قول أئمة السنَّة : أبو عبد الله بن منده ، وأبو عبد الله ابن حامد ، وأبو بكر عبد العزيز ، وأبو إسماعيل الأنصاري وغيرهم . وكذلك ذكر أبو عمر بن عبد البر نظير هذا في الاستواء .

وأئمة السنة : كعبد الله بن المبارك ، وأحمد بن حنبل ، والبخاري ، وعثمان ابن سعيد الدارمي ، ومن لا يُحصى من الأئمة - وذكره حرب بن إسماعيل الكرماني ، عن سعيد بن منصور ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن إبراهيم ، وسائر

(١) سبق الكلام على الكَلَّابِيَّة وابن كَلَّابٍ فيما مضى ١٥٩/١ (ت ٢) .

(٢) سبق الكلام على السالمية أتباع محمد بن أحمد بن سالم وابنه أحمد بن محمد بن سالم فيما مضى

١٨١/١ (ت ٤) .

(٣) به : ساقطة من (ك) = مخطوطة الكواكب الدراري .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ك) ، (ض) ، وأثبت من (ز) .

(٥) ك : يقولون . والمثبت من (ز) ، (ض) = طبعة فتاوى الرياض ٢١٧/٦ - ٢٦٧

(٦) ز : يتصف .

(٧) قد : زيادة في (ز) .

(٨) إنه : زيادة في (ز) .

أهل السنة والحديث - متفقون على أنه يتكلم بمشيئته ، وأنه لم يزل متكلماً إذا شاء وكيف شاء .

وقد سمى الله القرآن حديثاً ، وقال (١) : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ﴾ [سورة الزمر : ٢٣] ، وقال : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [سورة النساء : ٨٧] ، وقال : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُّحَدَّثٌ ﴾ [سورة الأنبياء : ٢] .

وقال النبي ﷺ : « إن الله يُحَدِّثُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ » (٢) . وهذا مما احتج به البخارى فى صحيحه ، وفى غير صحيحه (٣) ، واحتج به [أيضاً] (٤) غير البخارى كنعيم بن حماد ، وحماد بن زيد .

ومن المشهور عن السلف : أن القرآن العزيز (٥) : كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود .

وأما الجهمية والمعتزلة فيقولون : ليس له كلام قائم بذاته ، بل كلامه مخلوق منفصل عنه (٦) . والمعتزلة يطلقون القول : بأنه يتكلم بمشيئته . ولكن (٧) مرادهم بذلك أنه يخلق كلاماً منفصلاً عنه .

(١) ض (فقط) : فقال .

(٢) ز : من شاء ، وهو تحريف .

(٣) الحديث عن ابن مسعود رضى الله عنه مع اختلاف فى اللفظ فى : البخارى ١٥٢/٩ (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : كل يوم هو فى شأن) ؛ سنن النسائى ١٦/٣ - ١٧ (كتاب السهو ، باب الكلام فى الصلاة) ؛ المسند (ط . المعارف) ٢٠٠/٥ (رقم ٣٥٧٥) ، ٣٣٩/٥ - ٣٤٠ (رقم ٣٨٨٥) ، ٢١/٦ (رقم ٣٩٤٤) ، ٩١/٦ (رقم ٤١٤٥) . وتام الحديث - وإن مما أحدث أن لا تكلموا فى الصلاة .

(٤) أيضاً : زيادة فى (ز) .

(٥) العزيز : ساقطة من (ز) .

(٦) ك ، ض : كلامه منفصل عنه مخلوق عنه . والمثبت من (ز) .

(٧) ز : لكن .

والكَلَّابِيَّة والسالمية يقولون : إنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته ، بل كلامه قائم بذاته بدون قدرته ومشيئته ، مثل حياته . وهم يقولون : الكلام صفة ذات ، لا صفة فعل^(١) يتعلق بمشيئته وقدرته . وأولئك^(٢) يقولون : هو صفة فعل ، لكن الفعل عندهم هو المفعول المخلوق بمشيئته وقدرته .

وأما السلف وأئمة السنة ، وكثير من أهل الكلام : كالهشامية^(٣) ، والكُرَّامِيَّة^(٤) ، وأصحاب أبي معاذ التُّومَنِي^(٥) ، وزهير الأثرى^(٦) ، وطوائف غير هؤلاء فيقولون^(٧) : إنه صفة ذاتٍ وفعلٍ : هو يتكلم بمشيئته وقدرته كلاما

(١) ز : ليس صفة فعل .

(٢) ك (فقط) : أولئك .

(٣) الهشامية هم أتباع هشام بن الحكم الرافضي من الإمامية ، وتنسب إليه وإلى هشام بن سالم الجواليقي أحيانا من الإمامية المشبهة . انظر عن هذه الفرقة : المقالات ١٠٢/١ - ١٠٥ ، الملل والنحل ١٦٤/١ - ١٦٦ ؛ التصدير في الدين ، ص ٢٣ - ٢٤ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ١٩ ، ٣٤ ، ٤١ - ٤٣ ، ٦٧ ، ١٣٩ ؛ تكملة الفهرست لابن النديم ، ص ٧ ؛ الفهرست (ط . فلوجل) ، ص ١٧٥ - ١٧٧ ؛ فهرست الطوسي ، ص ١٧٤ - ١٧٦ ؛ أخبار الرجال للكشي ، ص ١٦٥ - ١٨١ .

(٤) سبق الكلام عليهم وعلى ابن كرام فيما مضى ١٦١/١ (ت ١) .

(٥) أبو معاذ التومني من أئمة المرجئة ، ورأس فرقة التومنية منها . لم أتمكن من معرفة تاريخ وفاته . انظر في ترجمته ومذهبه : المقالات للأشعري ٢٠٤/١ ، ٣٢٦ ، ٢٣٢/٢ ؛ الملل والنحل ١٢٨/١ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ١٢٣ - ١٢٤ ؛ اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير (ط . القدسي ، ١٣٥٧) ١٨٧/١ ؛ ياقوت : معجم البلدان ، مادة : تومن .

(٦) ك ، ض : زهير الياضي ؛ ز : زهير الباني . ورجحت أن يكون الصواب ما أثبتته ، وابن تيمية يقرن بينه وبين أبي معاذ التومني . انظر مثلا : درء تعارض العقل والنقل ١٩/٢ ، ١٧٤ ، ٢٥٧ ، ٣٣٣ - ٣٣٤ . ولم أعرف من هو زهير الأثرى ، ولكن الأشعري يتكلم على آرائه بالتفصيل في المقالات ٣٢٦/١ . ونقل ابن تيمية في درء ٣٣٢/٢ ، ٢٣٤ عن المقالات رأى كل من أبي معاذ التومني وزهير الأثرى في القرآن : « وذكر عن زهير الأثرى أنه كان يقول : إن الله ليس بجسم ولا محدود ... ويزعم أن القرآن كلام الله محدث غير مخلوق ... وكان أبو معاذ التومني يوافق زهيراً في أكثر قوله ويخالفه في القرآن ، ويزعم أن كلام الله : حدث غير محدث ولا مخلوق ، وهو قائم بالله لا في مكان » (انظر المقالات ٣٢٦/١ وانظر أيضا ٢٣٢/٢) .

(٧) ض (فقط) : يقولون .

قائما بذاته . وهذا هو المعقول من صفة الكلام لكل متكلم ، فكل حتى^(١) وُصف بالكلام : كالملائكة ، والبشر ، والجن وغيرهم : فكلامهم لابد أن يقوم / بأنفسهم ، وهم يتكلمون بمشيئتهم وقدرتهم .

ص ٧٣

والكلام صفة كمال ، لا صفة نقص ، ومن تكلم بمشيئته أكمل ممن لا يتكلم بمشيئته ، فكيف يتصف المخلوق بصفات الكمال دون الخالق؟! ولكن الجهمية والمعتزلة بنوا على أصلهم من أن الرب لا يقوم به صفة ، لأن ذلك - بزعمهم - يستلزم التجسيم والتشبيه الممتنع ، إذ الصفة عرض ، والعرض لا يقوم إلا بجسم .

والكُلائية يقولون : هو متصف بالصفات التي ليس له عليها قدره ، ولا تكون بمشيئته . فأما ما يكون بمشيئته فإنه حادث ، والرب تعالى^(٢) لا تقوم به الحوادث . ويتجهون^(٣) الصفات الاختيارية بمسألة حلول الحوادث ؛ فإنه إذا كَلَّمَ موسى بن عمران بمشيئته وقدرته ، وناداه حين أتاه بقدرته ومشيئته ، كان ذلك النداء والكلام حادثا .

قالوا : فلو اتصف الرب^(٤) به لقامت به الحوادث . قالوا : ولو قامت به الحوادث لم يخل منها ، وما لم يخل من الحوادث فهو حادث . قالوا : ولأن كونه قابلا لتلك الصفة إن كان^(٥) من لوازم ذاته كان قابلا لها في الأزل ، فيلزم جواز وجودها في الأزل ، والحوادث لا تكون في الأزل ، فإن ذلك يقتضى وجود حوادث لا أول لها ، وذلك محال لوجوه قد ذكرت في غير هذا الموضع .

(١) ز : وكل حتى ؛ ض : فكل من . والمثبت من (ك) .

(٢) تعالى : ليست في (ز) .

(٣) ك : ويزحمون ؛ ز : ويترحمون ؛ ض : ويسمون . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٤) الرب : ساقطة من (ز) .

(٥) إن كان : كذا في (ك) ، (ز) . وفي (ض) : إن كانت .

قالوا : وبذلك استدللنا على حدوث الأجسام ، وبه عرفنا حدوث العالم ، وبذلك أثبتنا وجود الصانع وصدق رسله ، فلو قدحنا في ذلك ^(١) لزم القدح في أصول الإيمان والتوحيد .

وإن لم يكن من لوازم ذاته صار قابلا لها بعد أن لم يكن قابلا ، فيكون قابلا لتلك القابلية ^(٢) ، فيلزم التسلسل الممتنع ، وقد بسطنا القول على عامة ما ذكره في هذا الباب وبيننا فساده وتناقضه على وجه لا تبقى فيه شبهة لمن فهم هذا الباب .

وفضلاؤهم ^(٣) المتأخرون ، كالرازي والآمدى والطوسي ^(٤) والحلي ^(٥) وغيرهم ، معترفون بأنه ليس لهم حجة عقلية على نفى ذلك ، بل ذكر الرازي وأتباعه أن هذا القول يلزم جميع الطوائف ، ونصره في آخر كتبه « كالمطالب العالية » - وهو من أكبر كتبه الكلامية [وخالف بذلك قوله في أجل ما صنّفه في

مقالة الرازي

(١) ك ، ض : تلك . والمثبت من (ز) .

(٢) ك ، ض : لتلك الصفة . والمثبت من (ز) .

(٣) ك : وفضلاهم وهم ؛ ض : وفضلاؤهم وهم . والمثبت من (ز) .

(٤) يقصد ابن تيمية بالطوسي هنا نصير الدين الطوسي . وهو أبو جعفر - أو أبو عبد الله - محمد ابن محمد الحسن نصير الدين الطوسي ، ويعرف بالحقق والخواجه . ولد بطوس سنة ٥٩٧ وتوفي ببغداد سنة ٦٧٢ . انظر ترجمته في : روضات الجنات ، ص ٥٧٨ - ٥٨٣ ؛ فوات الوفيات ٢/٣٠٧ - ٣١٢ ؛ شذرات الذهب ٥/٣٣٩ - ٣٤٠ ؛ البداية والنهاية ١٣/٢٦٧ - ٢٦٨ ؛ تاريخ ابن الوردي ٢/٢٢٣ ؛ الأعلام للزركلي ٧/٢٥٧ - ٢٥٨ .

(٥) يقصد ابن تيمية بالحلي ابن المطهر الحلي . وهو جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي ، المشهور عند الشيعة بالعلامة . ولد سنة ٦٤٨ وتوفي سنة ٧٢٦ . انظر ترجمته في : روضات الجنات ، ص ١٧٢ ؛ تاريخ ابن الوردي ٢/٢٧٩ ؛ مرآة الجنان لليافعي ٤/٢٧٦ ؛ النجوم الزاهرة ٩/٢٦٧ ؛ البداية والنهاية ١٤/١٢٥ ؛ لسان الميزان ٢/٣١٧ - ٣١٨ ؛ الدرر الكامنة ٢/٧١ ؛ الأعلام للزركلي ٢/٢٤٤ . وانظر ما ذكرته عنه وعن نصير الدين الطوسي في مقدمة الجزء الأول من كتاب « منهاج السنة » .

الكلام وهو كتابه [(١) الذى (٢) سماه « نهاية العقول فى دراية الأصول » ، ولما (٣) عرف فساد قول النفاة لم يعتمد على ذلك فى مسألة القرآن ، فإن عمدتهم فى مسألة القرآن إذا قالوا : لم يتكلم بمشيئته وقدرته ، قالوا : لأن ذلك يستلزم حلول الحوادث ، فلما عرف فساد هذا الأصل لم يعتمد على ذلك فى مسألة القرآن ، فإن عمدتهم عليه ، بل استدلل بإجماع مركّب ، وهو دليل ضعيف إلى الغاية (٤) ، لكن (٥) لم يكن عنده فى نصر قول الكلائية غيره ، وهذا مما يبين أنه وأمثاله تبين لهم (٦) فساد قول الكلائية .

وكذلك الآمدى ذكر فى « أبتكار الأفكار » ما يبطل قولهم ، وذكر أنه مقالة الآمدى لا جواب عنه . وقد بسطت (٧) هذه الأمور فى مواضع (٨) ، وهذا معروف عند عامة العلماء (٩) ، حتى الحلّى بن المطهر ذكر فى كتبه أن القول بنفى حلول الحوادث لا دليل عليه ، فالمنازع جاهل بالعقل والشرع .

وكذلك من قبل هؤلاء ، كأبى المعالى وذويه ، إنما عمدتهم أن الكرامة (١٠) قالوا ذلك وتناقضوا ، فيبينون تناقض الكرامة ، ويظنون أنهم إذا بينوا تناقض

(١) ما بين المعقوفين ليس فى كل النسخ وزدته ليستقيم الكلام ، لأن ابن تيمية تكلم أولاً على « المطالب العالية » وهو الذى يذكر دائماً أنه آخر ما ألفه الرازى وفيه رجوع عن آرائه التى ذكرها فى كتبه السابقة وأهمها « نهاية العقول » . وانظر : « درء تعارض العقل والنقل » ١/٣٢٥ - ٣٢٧ ، ٣٧٩ ، ٣٢٤/٢ - ٣٢٧ .

(٢) ك (فقط) : التى ، وهو تحريف .

(٣) فى النسخ الثلاث : لما . وأرجو أن يكون الصواب ما أثبتته .

(٤) ك : غاية .

(٥) ك ، ض : لأنه .

(٦) ك ، ض : له .

(٧) ك : كشفت .

(٨) انظر مثلاً : درء تعارض العقل والنقل ٣/٣١ - ٦٧ .

(٩) ز : الفضلاء .

(١٠) انظر ما ذكرته عنهم من قبل ١/١٦١ .

الكرامية - وهم منازعوهم (١) - فقد فلعجوا (٢) ، ولم يعلموا أن السلف وأئمة السنة / والحديث ، بل مَنْ قَبْلَ الكَرَامِيَّةِ من الطوائف ، لم يكن يلتفت (٣) إلى الكَرَامِيَّةِ وأمثالهم ، بل تكلموا بذلك قبل أن يُخلق (٤) الكرامية ، فإن ابن كَرَامٍ كان متأخراً بعد أحمد بن حنبل ، في زمن مسلم بن الحجاج وطبقته وأئمة السنة (٥) ، والمتكلمون تكلموا بهذه قبل هؤلاء ، ومازال السلف يقولون بموجب ذلك .

ظ ٧٣

لكن لما ظهرت الجهمية النفاة في أوائل المائة الثانية (٦) ، بين علماء المسلمين ضلالهم وخطأهم ، ثم ظهرت محنة (٧) الجهمية في أوائل المائة الثالثة ، وامتنحن العلماء : الإمام أحمد وغيره ، فجردوا الرد على الجهمية وكشف (٨) ضلالهم ، حتى جرد الإمام أحمد الآيات التي في القرآن ، تدل على بطلان قولهم ، وهي كثيرة جداً ، بل الآيات التي تدل على الصفات الاختيارية التي يسمونها حلول الحوادث كثيرة جداً .

وهذا كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ﴾ [سورة الأعراف : ١١] فهذا بين في أنه إنما أمر الملائكة بالسجود بعد خلق آدم ، لم يأمرهم في الأزل .

الآيات
الدالة على
صفة الكلام

(١) ز : وهم ينازعونهم .

(٢) ك : فلعجوا .

(٣) ض : لم تكن تلتفت ؛ ز : (غير منقوطة) . والمثبت من (ك) .

(٤) ض : تخلق ؛ ك ، ز : (غير منقوطة) .

(٥) انظر ما سبق ١٦١/١ .

(٦) ض : الثالثة ، وهو خطأ .

(٧) ك : ثم ظهرت عنه ، ض : ثم ظهر رcente . والمثبت من (ز) .

(٨) ك : وكيف ، وهو تحريف .

وكذلك قوله : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [سورة آل عمران : ٥٩] فإنما قال له [: « كن »] ^(١) بعد أن خلقه من تراب لا في الأزل .

وكذلك قوله في قصة موسى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [سورة النمل : ٨] وقال تعالى ^(٢) : ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة القصص : ٣٠] فهذا بيّن في أنه إنما ^(٣) ناداه حين جاء ، لم يكن النداء في الأزل كما يقول الكلاية ، يقولون : إن النداء قائم بذات الله ^(٤) في الأزل ، وهو لازم لذاته لم يزل ولا يزال منادياً له ، لكنه لما أتى خلق فيه إدراكاً لما كان موجوداً في الأزل .

ثم من قال منهم : إن الكلام معنى واحد ، منهم من قال : سمع ذلك المعنى بأذنه ، كما يقوله ^(٥) الأشعري . ومنهم من يقول : بل أفهم منه ما أفهم ، كما يقوله القاضي أبو بكر وغيره ^(٦) .

(١) كن : ساقطة من (ك) ، (ض) .

(٢) عبارة « وقال تعالى » : ساقطة من (ز) .

(٣) إنما : ساقطة من (ز) .

(٤) ز : الرب .

(٥) ك ، ض : يقول .

(٦) لم أجد للقاضي أبي بكر الباقلافي كلاماً بهذا المعنى ، ولكن الشيخ محمد زاهد الكوثري علق على كلامه في كتابه « الإنصاف » ص ٨٤ (ت ١) فقال : « وفي شرح المقاصد : (اختصاص موسى عليه السلام بأنه كليم الله تعالى فيه أوجه ... وثالثها : أنه سمع من جهة لكن بصوت غير مكتسب للعباد على ما هو شأن سماعنا ، وحاصله أنه أكرم موسى عليه السلام فأفهمه كلامه بصوت تولى بخلقه من غير كسب لأحد من خلقه . وإلى هذا ذهب أبو منصور الماتريدي وأبو إسحاق الإسفراييني » . وانظر : الإرشاد للجويني ، ص ١٣٣ - ١٣٤ حيث يقول : « كلام الله تعالى مسموع في إطلاق المسلمين ... ثم السماع لفظة محتملة لا يتحد معناها ، ولا ينفرد مقتضاها ، فقد يراد بها الإدراك ، وقد يراد بها الفهم =

فقليل لهم : عندكم هو معنى واحد لا يتبعض ولا يتعدد ، فموسى فهم المعنى كله أو بعضه ؟ إن قلت : كله ، فقد عَلِمَ عَلِمَ اللهُ كله (١) ، وإن قلت : بعضه ، فقد تبعض ، وعندكم لا يتبعض (٢) .

ومن قال من (٣) أتباع الكُلاَّييه بأن النداء وغيره من الكلام القديم حروف ، أو حروف (٤) وأصوات لازمة لذات الرب ، كما يقوله (٥) السالمية ومن وافقهم ، يقولون : إنه خلق له إدراكاً لتلك الحروف والأصوات . والقرآن والسنة وكلام السلف قاطبة يقتضى أنه إنما ناداه وناجاه حين أتى ، لم يكن النداء موجوداً قبل ذلك ، فضلاً عن أن يكون قديماً أزلياً .

وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلُّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [سورة الأعراف : ٢٢] (٦) ، وهذا يدل على أنه لما أكلا منها ناداهما ، لم ينادهما قبل ذلك .

= والإحاطة فإذا سمي كلام الله تعالى مسموعاً فالمعنى به كونه مفهوماً معلوماً عن أصوات مدركة ومسموعة ، والشاهد لذلك من القضايا الشرعية إجماع الأمة على أن الرب تعالى خصص موسى وغيره من المصطفين من الإنس والملائكة بأن أسمعهم كلامه العزيز من غير واسطة . فلو كان السامع لقراءة القارئ مدركا لنفس كلام الله تعالى ، لما كان موسى صلوات الله عليه مخصصاً بالتكليم ، وإدراك كلام الله من غير تبليغ مبلغ وإنهاء (لعلها : وإنباء) مرسل .

(١) كله : ساقطة من (ز) .

(٢) ز : وعندكم لا بعض له .

(٣) من : ساقطة من (ز) .

(٤) أو حروف : ساقطة من (ز) .

(٥) ض : تقوله .

(٦) حرفت الآية في (ك) ، (ض) إلى : فلما أكلا منها بدت لهما إلخ .

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [سورة القصص : ٦٥] ، ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [سورة القصص : ٦٢] ، فجعل النداء في يوم معين ، وذلك اليوم حادث كائن بعد أن لم يكن ، وهو حينئذ يناديهم ، لم ينادهم قبل ذلك .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الطَّيِّدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [سورة المائدة : ١] فبيّن أنه يحكم فيحلل ما يريد ويحرم ما يريد / ويأمر بما يريد ، فجعل التحليل والتحریم والأمر والنهي متعلقا بإرادته . [وهذه أنواع الكلام ، فدل على أنه يأمر بإرادته] ^(١) وينهى بإرادته ، ويحلل بإرادته ، ويحرم بإرادته .

ص ٧٤

والكَلَابِيَّة يقولون : ليس شيء من ذلك بإرادته ، بل هو قديم لازم لذاته ^(٢) ، غير مراد له ولا مقدور . والمعتزلة مع الجهمية يقولون : كل ذلك مخلوق منفصل عنه ، ليس له كلام قائم به ، لا بإرادته ولا بغير إرادته . ومثل هذا كثير في القرآن العزيز .

فصل

وكذلك في الإرادة والمحبة كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [سورة يس : ٨٢] ، وقوله : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ۚ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [سورة الكهف : ٢٣ - ٢٤] ، وقوله : ﴿ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ [سورة الفتح : ٢٧] ، وقوله : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ ﴾ [سورة الإسراء : ١٦] ، وقوله : ﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ﴾ [سورة الرعد : ١١] ، وقوله :

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ك) ، (ض) ، وأثبتته من (ز) .

(٢) ك : بل قديمة لازمة لذاته ؛ ض : بل قديم لازم لذاته . والمثبت من (ز) .

﴿ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ﴾ [سورة الإنسان : ٢٨] ، وقوله : ﴿ وَلَكِنْ شِئْنَا لَنُدْهِبَنَّ بِالَّذِي أُوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ [سورة الإسراء : ١٦] ، وأمثال ذلك في القرآن العزيز (١) .

فإن جوازم الفعل المضارع ونواصبه تخلصه للاستقبال ، مثل « إن » و « أن » ، وكذلك « إذا » ظرف لما يستقبل من الزمان . فقوله : « إذا أَرَادَ » و « إن شاء (٢) الله » ونحو ذلك يقتضى حصول إرادة مستقبله ومشية (٣) مستقبله .

وكذلك في المحبة والرضا . قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [سورة آل عمران : ٣١] ، فإن هذا يدل على أنهم إذا اتبعوه أحبهم الله ، فإنه جزم قوله (٤) « يحببكم الله » (٥) ، فجزمه جواباً للأمر ، وهو في معنى الشرط ، فتقديره (٦) : إن تتبعوني يحببكم الله .

صفتا المحبة
والرضا

ومعلوم أن جواب الشرط والأمر إنما يكون بعده لا قبله ، فمحبة الله لهم إنما تكون بعد اتباعهم للرسول . والمنازعون منهم من يقول : ما ثم محبة بل المراد ثوابا مخلوقا ، ومنهم من يقول : بل ثم محبة قديمة أزلية : إما الإرادة وإما غيرها . والقرآن يدل على قول السلف وأئمة (٧) السنة المخالف (٨) للقولين .

(١) العزيز : ساقطة من (ز) .

(٢) ز : وإن يشأ .

(٣) ك : أو مشية .

(٤) قوله : ساقطة من (ز) .

(٥) ك ، ض : يحببكم به . والمثبت من (ز) .

(٦) ز : تقديره .

(٧) ك ، ض : أئمة .

(٨) ك ، ض : المخالفين .

وكذلك قوله : ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ﴾ [سورة محمد : ٢٨] ، فإنه يدل على أن أعمالهم أسخطته ، فهي سبب لسخطه ، وسخطه عليهم بعد الأعمال لا قبلها .

وكذلك قوله : ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ [سورة الزخرف : ٥٥] ، وكذلك قوله : ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [سورة الزمر : ٧] علق الرضا بشكرهم وجعله مجزوما جزاءً له ، وجزاء الشرط لا يكون إلا بعده .

وكذلك قوله : ﴿ إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٢٢] ، ﴿ وَيُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة التوبة : ٧] ، ﴿ وَيُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [سورة المائدة : ٤٢] ، ﴿ وَيُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ﴾ [سورة الصف : ٤] ونحو ذلك ، فإنه يدل على أن المحبة بسبب هذه الأعمال ، وهي جزاء لها ، والجزاء إنما يكون بعد العمل والسبب (١) .

فصل

وكذلك السمع والبصر والنظر . قال الله تعالى : ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ﴾ [سورة التوبة : ١٠٥] ، هذا في حق المنافقين . وقال في حق التائبين : ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة التوبة : ١٠٥] فقولته (٢) : ﴿ فَسَيَرَى اللَّهُ ﴾ دليل على أنه يراها بعد نزول هذه الآية

(١) ك ، ض : والمسبب .

(٢) ك ، ض : وقوله .

الكريمة^(١) ، والمنازع إما أن ينفي الرؤية وإما أن يثبت رؤية قديمة أزلية [فقط]^(٢) .
وكذلك قوله : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ
كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة يونس : ١٤] ولام « كى » تقتضى أن ما بعدها متأخر عن
المعلول ، فنظره كيف يعملون هو بعد أن جعلهم خلائف .

وكذلك ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ
وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ﴾ [سورة المجادلة : ١] ، أخبر أنه يسمع تحاورهما حين كانت
تجادل وتشتكى إلى الله .

ظ ٧٤

وقال النبي ﷺ : « إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده ، فقولوا : ربنا ولك
الحمد ، يسمع الله لكم »^(٣) فجعل سمعه لنا^(٤) جزءاً وجواباً للحمد ، فيكون
ذلك بعد الحمد ، والسمع يتضمن مع سمع القول قبوله وإجابته .

ومنه قول الخليل : ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [سورة إبراهيم : ٣٩] ، وكذلك
قوله : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ [سورة آل
عمران : ١٨١] ، وقوله لموسى [وهارون]^(٥) : ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [سورة
طه : ٤٦] .

(١) الكريمة : ساقطة من (ز) .

(٢) فقط : ساقطة من (ك) ، (ض) .

(٣) هذا جزء من حديث طويل عن أنى موسى الأشعري رضى الله عنه وأوله - وهذه رواية مسلم - : « إذا صليت فاقموا صفوفكم ثم ليؤمكم أحدكم ... » الحديث . وهو فى : مسلم ٣٠٣/١ - ٣٠٥ (كتاب الصلاة ، باب التشهد فى الصلاة) ؛ سنن النسائى ٧٥/٢ - ٧٦ (كتاب الإمامة ، باب مبادرة الإمام) ، ١٩٢/٢ - ١٩٣ (كتاب التطبيق ، باب نوع آخر من التشهد) .

(٤) ز : فجعل يسمع لنا .

(٥) وهارون : زيادة فى (ز) .

والعقل ^(١) الصريح يدل على ذلك ، فإن المدوم لا يُرى ولا يسمع بصريح العقل واتفاق العقلاء ، لكن قال من قال من السالمية : إنه يسمع ويرى موجوداً في علمه لا موجوداً بائناً عنه ، ولم يقل [أحد] ^(٢) : إنه يسمع ويرى بائناً عن الرب . فإذا خلق العباد ، وعملوا وقالوا ، فأما أن نقول : إنه يرى أعمالهم ويسمع أقوالهم ^(٣) ، وإما لا يرى ولا يسمع . فإن نفى ذلك تعطيل ^(٤) لهاتين الصفتين ، وتكذيب للقرآن ، وهما صفتا كمال لا نقص فيه ، فمن يسمع ويبصر أكمل ممن لا يسمع ولا يبصر .

والمخلوق يتصف بأنه يسمع ويبصر ، فيمتنع ^(٥) اتصاف المخلوق بصفات الكمال دون الخالق سبحانه وتعالى ^(٦) ، وقد عاب الله تعالى ^(٧) من يعبد من لا يسمع ولا يبصر في غير موضع ، ولأنه حتى ، والحى إذا لم يتصف بالسمع والبصر ، اتصف بضد ذلك : وهو العمى والصمم ، وذلك ممتنع ، وبسط هذا له موضع آخر .

وإنما المقصود هنا أنه إذا كان يسمع ويبصر الأقوال والأعمال بعد أن وجدت ، فأما أن يقال : إنه تجدد [شئ] ، وإما أن يقال : لم يتجدد شئ ، فإن كان لم يتجدد ^(٨) ، وكان لا يسمعها ولا يبصرها ، فهو بعد أن خلقها لا يسمعها

(١) ك ، ض : والمعقول .

(٢) أحد : ساقطة من (ك) ، (ض) وأثبتها من (ز) .

(٣) ك ، ض : إنه يسمع أقوالهم ويرى أعمالهم .

(٤) ك ، ض : فإن نفى ذلك فهو تعطيل .

(٥) ك : فيمتنع .

(٦) سبحانه وتعالى : ليست في (ز) .

(٧) تعالى : ليست في (ز) .

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ك) ، (ض) ، وأثبتته من (ز) .

ولا يبصرها . وإن تجدد شيء : فإما أن يكون وجوداً أو عدماً ، فإن كان عدماً فلم يتجدد شيء ، وإن كان وجوداً : فإما أن يكون قائماً بذات الله ، أو قائماً بذات غيره ^(١) . والثاني يستلزم أن يكون ذلك الغير هو الذي يسمع ويرى فتعيّن أن ذلك السمع والرؤية الموجودين قائم بذات الله ^(٢) ، وهذا لا حيلة فيه .

والكَلَّابِيَّة يقولون في جميع هذا الباب : المتجدد هو تعلق ^(٣) [تعلق] ^(٤) بين الأمر والمأمور ، وبين الإرادة والمراد ، وبين السمع والبصر والمسموع والمرئى ^(٥) .

فيقال لهم : هذا التعلق ^(٦) إما أن يكون وجوداً وإما أن يكون عدماً ، فإن كان عدماً فلم يتجدد شيء ، فإن العدم لا شيء وإن كان وجوداً بطل قولهم .

وأيضاً فحدوث تعلق هو نسبة وإضافة ، من غير حدوث ما يوجب ذلك - ممتنع ، فلا تحدث ^(٧) نسبة وإضافة إلا بحدوث أمر وجودى يقتضى ذلك ، وطائفة - منهم ابن عقيل - يسمون هذه النسب ^(٨) أحوالاً .

والطوائف متفقون على حدوث نسب وإضافات وتعلقات ، لكن حدوث النسب بدون حدوث ما يوجبها ممتنع ، فلا تكون ^(٩) نسبة وإضافة إلا تابعة لصفة ثبوتية ^(١٠) : كالأبوة والبنوة ، والفوقية والتحتية ، والتمام والتمام ، فإنها لا بد أن تستلزم أموراً ثبوتية ^(١١) .

(١) ز : وإما أن يقوم بذات غيره .

(٢) ز : الرب .

(٣) ك : معلق .

(٤) تعلق : زيادة في (ز) .

(٥) ز : والمرأى ، وهو تحريف .

(٦) ك : التعليق .

(٧) ض : يحدث .

(٨) ك ، ض : النسبة .

(٩) ك ، ض : يكون ؛ ز (غير منقوطة) .

(١٠ - ١٠) : ساقط من (ز) .

أفعال الرب
الاختيارية

ص ٧٥

وكذلك كونه خالقا ورازقا ومحسناً وعادلاً ، فإن هذه أفعال فعلها بمشيئته
وقدرته ، إذ (١) كان يخلق بمشيئته ، ويرزق بمشيئته ، ويعدل بمشيئته ، ويحسن
/ بمشيئته . والذي عليه جماهير المسلمين من السلف والخلف : أن الخلق غير
المخلوق ، فالخلق فعل الخالق ، والمخلوق مفعوله .

ولهذا كان النبي ﷺ يستعيد بأفعال الرب وصفاته ، كما في قوله
ﷺ (٢) : « أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وبك
منك (٣) ، لا أحصى ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » (٣) ، فاستعاذ
بمعافاته كما استعاذ برضاه .

وقد استدل أئمة السنن - كأحمد وغيره - على أن كلام الله غير مخلوق بأنه
استعاذ به فقال : « من نزل منزلاً فقال : أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق ، لم
يضره شيء حتى يرتحل منه » (٤) فكذلك معافاته ورضاه غير مخلوق (٥) لأنه استعاذ
به (٦) والعافية القائمة بيد العبد مخلوقة ، فإنها نتيجة معافاته .

(١) ك : إذا ، وهو تحريف .

(٢) ﷺ : ليست في (ز) .

(٣-٣) : ساقط من (ز) . والحديث عن عائشة رضی الله عنها في : مسلم ٣٥٢/١ (كتاب
الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود) وأوله : فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفرائض فالتصت
فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد ، وهما منصوبتان ، وهو يقول : اللهم أعوذ برضاك ...
الحديث .

(٤) الحديث عن خولة بنت حكيم رضی الله عنها - مع اختلاف يسير في الألفاظ - في : مسلم
٢٠٨٠/٤ - ٢٠٨١ (كتاب الذكر والدعاء .. ، باب في التعوذ من سوء القضاء ...) ؛ سنن الترمذي
١٦٠ - ١٥٩/٥ (كتاب الدعوات ، باب ما جاء ما يقول إذا نزل منزلاً) ؛ سنن ابن ماجه ١١٧٤/٢
(كتاب الطب ، باب الفزع والأرق وما يتعوذ منه) ؛ سنن الدارمي ٢٨٩/٢ (كتاب الاستئذان ، باب
ما يقول إذا نزل منزلاً) ؛ الموطأ ٩٧٨/٢ (كتاب الاستئذان ، باب ما يؤمر به من الكلام في السفر) ؛
المسند (ط . الحلبي) ٣٧٧/٦ .

(٥) ك ، ض : مخلوقة . والمثبت من (ز) .

(٦) ض : لأنه استعاذ بهما ؛ ك : لا استعاذ به ، وهو تحريف . والمثبت من (ز) .

وإذا كان الخلق فعله والمخلوق مفعوله ، وقد خلق الخلق بمشيئته ، دل على أن الخلق فعل يحصل بمشيئته ويمتنع قيامه بغيره ، فدل على أن أفعاله قائمة بذاته ، مع كونها حاصلة بمشيئته وقدرته .

وقد حكى البخارى إجماع العلماء على الفرق بين الخلق والمخلوق ، وعلى هذا يدل صريح المعقول ، فإنه قد ثبت بالأدلة العقلية والسمعية ، أن كل ما سوى الله تعالى (١) مخلوق محدث كائن بعد أن لم يكن ، وأن الله انفرد بالقدم والأزلية .

وقد قال تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [سورة السجدة : ٤] ، فهو حين خلق السموات ابتداءً إما أن يحصل منه فعل يكون هو خلقاً للسموات والأرض ، وإما أن لا يحصل منه فعل (٢) ، بل وجدت المخلوقات بلا فعل . ومعلوم أنه إذا كان الخالق قبل خلقها ومع خلقها وبعده سواء (٣) ، لم يجوز تخصيص خلقها (٤) بوقت دون وقت بلا سبب يوجب التخصيص .

وأيضاً فحدوث المخلوق بلا سبب (٥) حادث ممتنع في بدايه (٦) العقل . وإذا قيل : الإرادة والقدرة [القديمة] (٧) خصصت . قيل : نسبة الإرادة القديمة إلى جميع الأوقات سواء .

وأيضاً فلا تُعقل إرادة تخصص (٨) أحد المتماثلين إلا بسبب يوجب التخصيص .

(١) تعالى : ليست في (ز) .

(٢) في (ك) : كأنها : قول ، وهو تحريف .

(٣) ك ، ض : ومع خلقها سواء وبعده سواء . والمثبت من (ز) .

(٤) ك : لخلقها .

(٥) ز : بدون سبب .

(٦) ك ، ض : بداية .

(٧) القديمة : ساقطة من (ك) ، (ض) .

(٨) ك ، ض : تخصص . والمثبت من (ز) .

وأيضاً فلا بد عند وجود المراد من سبب يقتضى حدوثه ، وإلا فلو كان مجرد ما تقدم من الإرادة والقدرة كافياً ، للزم وجوده قبل ذلك ، لأنه مع الإرادة التامة والقدرة التامة يجب وجود المقدور .

وقد احتج من قال : الخلق هو المخلوق ، كأبى الحسن ومن اتبعه مثل ابن عقيل ، بأن قالوا : لو كان غيره لكان : إما قديماً وإما حادثاً ، فإن كان قديماً لزم قدم المخلوق لأنهما متضايقان (١) ، وإن كان حادثاً (٢) لزم أن تقوم به الحوادث ، ثم ذلك الخلق يفتقر إلى خلق آخر ويلزم التسلسل .

فأجابهم الجمهور ، كل طائفة على أصلها ، فطائفة (٣) قالت : الخلق قديم وإن كان المخلوق حادثاً (٤) ، كما يقول ذلك كثير من أهل المذاهب الأربعة ، وعليه أكثر الحنفية . قال هؤلاء : أنتم تسلّمون لنا أن الإرادة قديمة أزلية والمراد محدث ، فنحن نقول في الخلق ما قلتم في الإرادة .

وقالت طائفة (٥) : بل الخلق حادث في ذاته ، ولا يفتقر إلى خلق آخر ، بل يحدث بقدرته . وأنتم تقولون : إن المخلوق يحصل بقدرته بعد أن لم يكن (٦) ، فإن (٧) كان المنفصل يحصل بمجرد القدرة ، فالمتصل به أولى . وهذا جواب كثير من الكرامية والهشامية وغيرهم .

(١) ز : متضايقان ، وهو تحريف .

(٢) ز : محدثاً .

(٣) ز : وطائفة .

(٤) ز : محدثاً .

(٥) ز : وطائفة قالت .

(٦) ك ، ض : تكن ؛ ز (غير منقوطة) . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٧) ز : فإذا .

وطائفة يقولون : هب / أنه يفترق إلى فعل قبله ، فلم قلت : إن ذلك ممتنع ؟
وقولكم (١) هذا تسلسل .

ظ ٧٥

فيقال : هذا ليس تسلسلا (٢) في الفاعلين والعلل الفاعلة ؛ فإن هذا ممتنع
باتفاق العقلاء ، بل هو تسلسل في الآثار والأفعال ، وهو حصول شيء بعد شيء .

وهذا محل النزاع ، فالسلف يقولون : لم يزل متكلمًا إذا شاء [وكما
شاء] (٣) . وقد قال تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ
قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ [سورة الكهف : ١٠٩] فكلمات
الله لا نهاية لها ، وهذا تسلسل جائز كالتسلسل في المستقبل ؛ فإن نعيم الجنة دائم
لا نفاذ له ، فما من شيء إلا وبعده شيء بلا نهاية (٤) .

فصل

والأفعال نوعان : متعدٍ ولازم . فالمتعدى مثل : الخلق والاعطاء ونحو ذلك .
واللازم مثل : الاستواء والنزول والمجيء والإيتان .

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [سورة هود : ٧] فذكر الفعلين : المتعدى واللازم ، وكلاهما
حاصل بقدرته ومشيئته (٥) ، وهو متصف به ، وقد بسط هذا في غير هذا
الموضع .

(١) ك : وقولهم .

(٢) ك : ليس هذا تسلسل ؛ ض : ليس هذا تسلسلا .

(٣) وكما شاء : ساقطة من (ك) ، (ض) . وأثبتها من (ز) .

(٤) ك ، ض : شيء لا نهاية له .

(٥) ض : بمشيئته وقدرته .

الأدلة على هذا
الأصل من السنة

والمقصود هنا أن القرآن يدل على هذا الأصل في أكثر من مائة موضع .
وأما الأحاديث الصحيحة فلا يمكن ضبطها في هذا الباب ، كما في الصحيحين
عن زيد بن خالد الجهني ^(١) أن النبي ﷺ صَلَّى بأصحابه صلاة الصبح
بالحديبية ^(٢) على إثر سماء كانت من الليل ^(٣) ، ثم قال : أتدرون ماذا قال ربكم
الليلة ؟ قال : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر [بى] ^(٤) ، فأما من قال : مُطِرْنَا
بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب ، وأما من قال : مُطِرْنَا بنوء
كذا [ونوء كذا وكذا] ^(٥) ، فذلك كافر بى مؤمن بالكوكب ^(٥) .

وفي الصحاح [فى] ^(٦) حديث الشفاعة : يقول ^(٧) كل من الرسل إذا
أتوا إليه ^(٨) « إن رى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده
مثله » ^(٩) فقال كل منهم : إن رى قد غضب اليوم ، وهو بيان أن الغضب حصل
فى ذلك اليوم لا قبله .

(١) الجهنى : ساقطة من (ز) .

(٢ - ٢) : ساقط من (ز) .

(٣) بى : ساقطة من (ك) ، (ض) .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ز) .

(٥) بعد كلمة « الكوكب » تكررت عبارة « فقال أتدرون ماذا قال ربكم الليلة » فى (ك) ، (ز)
إلا أن العبارة عليها شطب فى (ز) . والحديث - مع اختلاف يسير فى الألفاظ - عن زيد بن خالد الجهنى
رضى الله عنه فى : البخارى ١/١٦٥ (كتاب الأذان ، باب استقبال الإمام الناس إذا سلم) ؛ مسلم
١/٨٣ - ٨٤ (كتاب الإيمان ، باب بيان كفر من قال : مطرنا بالنوء) ؛ سنن أبى داود ٤/٢١ (كتاب
الطب ، باب فى النجوم) ؛ الموطأ ١/١٩٢ (كتاب الاستقسام ، باب الاستبصار بالنجوم) .

(٦) فى : زيادة من (ز) .

(٧) ك ، ض : فيقول .

(٨) عبارة : « إذا أتوا إليه » ساقطة من (ز) والمعنى أن الرسل إذا أتى الناس إليهم بعد كرب يوم
القيامة يطلبون من كل رسول أن يشفع إلى الله تعالى يقول كل منهم العبارة التالية .

(٩) حديث الشفاعة حديث طويل مروى عن عدد من الصحابة من وجوه عدة بألفاظ متقاربة .
انظر : البخارى ٦/٨٤ - ٨٥ (كتاب التفسير ، سورة بنى اسرائيل : باب ذرية من حملنا مع نوح) ؛ =

وفي الصحيح : « إذا تكلم الله بالوحي ، سمع أهل السموات كجرجر السلسلة على الصفوان » ^(١) فقلوه : « إذا تكلم الله بالوحي سمع » يدل على أنه يتكلم به حين يسمعون ، وذلك ينفي كونه أزلًا . وأيضا فما يكون ^(٢) كجرجر السلسلة على الصفا يكون ^(٣) شيئا بعد شيء ، والمسبوق بغيره لا يكون أزلًا .

وكذلك في الصحيح : « يقول الله : قَسَمْتُ الصلاة بيني وبين عبدي [نصفين :] ^(٤) نصفها لي ونصفها لعبدي ، ولعبدي ما سأل ، فإذا قال : الحمد لله رب العالمين ، قال الله : حمدني عبدي . فإذا قال : الرحمن الرحيم ، قال

= مسلم ١٨٠/١ - ١٨٧ (كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة) . وهو في مواضع كثيرة في الصحيحين وغيرهما . انظر : الترغيب والترهيب للمنذرى ٣٩٨/٥ - ٤٠٦ (ط . مصطفى الحلبي ، القاهرة ١٣٥٢ / ١٩٣٣) ؛ جامع الأصول لابن الأثير ١١ / ١٢٣ - ١٣٣ (ط . السنة المحمدية ، القاهرة ١٣٧٣ / ١٩٥٤) ؛ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية ص ٢٢٣ - ٢٢٧ (تحقيق الأستاذ محمود حسن ربيع ، ط . مكتبة الأزهر ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٥٧ / ١٩٣٨) .

(١) الحديث عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه في : سنن أبى داود ٤ / ٣٢٥ (كتاب السنة ، باب في القرآن) ونصه : « إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجرجر السلسلة على الصفا فيصعقون ، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل ، حتى إذا أتاهم جبريل فُزع عن قلوبهم . قال : فيقولون : يا جبريل ماذا قال ربك ؟ فيقول : الحق . فيقولون : الحق ، الحق » . وذكر الشيخ محمد ناصر الدين الألباني الحديث في « صحيح الجامع الصغير » ١ / ١٧٨ وقال عنه إنه صحيح ، وأنه ورد في كتاب التوحيد لابن خزيمة وفي كتاب « الأسماء والصفات » للبيهقي . والحديث في كتاب التوحيد لابن خزيمة ، ص ١٤٥ (بتحقيق الشيخ محمد خليل هراس رحمه الله ، ط . مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٣٨٧ / ١٩٦٨) وهو أيضا في « الأسماء والصفات » ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ (بتحقيق الكوثري ، ط . السعادة ، القاهرة ، ١٣٥٨) ونبه البيهقي إلى أن الحديث رواه البخارى موقوفا وأبو داود مرفوعا . والحديث في : البخارى ٩ / ١٤١ (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ولا تنفع الشفاعة عنده) وقال : « وقال مسروق عن ابن مسعود : إذا تكلم الله بالوحي الحديث » . وجاء حديث آخر بألفاظ مقاربة عن أبى هريرة ذكره ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل ٢ / ٤٣ وتكلمت عليه هناك وذكرت أن البخارى أورده في ثلاثة مواضع وهو في سنن الترمذى وابن ماجه .

(٢) ز : ما يكون .

(٣) ز : فيكون .

(٤) نصفين : ساقطة من (ك) .

الله : أثنى على عبدى . فإذا قال : مالك يوم الدين ، قال الله (١) : مجّدى عبدى . فإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين ، قال الله (١) : هذه الآية بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل . فإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، قال الله (٢) : هؤلاء لعبدى ولعبدى ما سأل « (٣) ، فقد أخبر أن العبد إذا قال : الحمد لله ، قال الله : حمدنى [عبدى] (٤) فإذا قال : الرحمن الرحيم ، قال الله (٥) : أثنى على عبدى الحديث .

وفى الصحاح حديث النزول [أنه : (٦)] « ينزل ربنا (٧) كل ليلة حين / يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعونى فأستجيب له ؟ من يسألنى فأعطيه ؟ من يستغفرنى فأغفر له ؟ » (٨) فهذا قول وفعل فى وقت معين ، وقد

ص ٧٦

(١) الله : ليست فى (ز) .

(٢) الله : ليست فى (ز) .

(٣) سبق الكلام عن الحديث ٢٧٢/١ (ت ٢) وهو عن أبى هريرة رضى الله عنه فى : مسلم ٢٩٦/١ - ٢٩٧ (كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة الفاتحة) ؛ سنن الترمذى ٢٦٩/٤ - ٢٧٠ (كتاب التفسير ، سورة الفاتحة) .

(٤) عبدى : ساقطة من (ك) ، (ض) . وأثبتها من (ز) .

(٥) الله : ليست فى (ز) .

(٦) أنه : زيادة فى (ز) .

(٧) ربنا : ليست فى (ز) .

(٨) الحديث عن أبى هريرة وغيره من الصحابة رضى الله عنهم فى : البخارى ٥٢/٢ - ٥٣ (كتاب التهجد ، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل) ، ٧١/٨ (كتاب الدعوات ، باب الدعاء نصف الليل) ١٤٣/٩ (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : يريدون أن يبدلوا كلام الله) ؛ مسلم ١٧٥/٣ - ١٧٦ (كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الترغيب فى الدعاء) ؛ سنن أبى داود ٤٧/٢ (كتاب الصلاة ، باب أى الليل أفضل) ، ٣١٤/٤ (كتاب السنة ، باب الرد على الجهمية) ؛ المسند ط . المعارف (الأرقام : ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٣٦٧٣ ، ٣٨٢١ ، ٧٥٠٠ ، ٧٥٨٢ ، ٧٦١١ ، ٧٧٧٩ . وهو أيضا فى مواضع أخرى كثيرة فى المسند ، وهو أيضا فى سنن : الترمذى وابن ماجه والدارمى ومسند الطيالسى (وانظر مفتاح كنوز السنة ، مادة : الدعاء) وأفرد ابن خزيمة فصلا لأحاديث النزول فى كتابه « التوحيد » ص ١٢٥ - ١٣٦ .

اتفق السلف على أن النزول فعل يفعله الرب ، كما قال ذلك الأوزاعي وحمّاد بن زيد والفضيل بن عياض (١) وأحمد بن حنبل وغيرهم .

وأيضاً فقد قال صلى الله عليه وسلم : « لله أشدُّ أذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن ، من صاحب القَيْتَةِ إلى قَيْتته » (٢) . وفي الحديث الصحيح الآخر (٣) : « ما أذن الله لشيءٍ كأذنيه لنبى حسن الصوت يتغنّى (٤) بالقرآن يجهر به » (٥) .

أذِنَ (٦) يَاذِنُ أذناً : أى استمع (٧) يستمع استماعاً ، كقوله : ﴿ أَذِنْتُ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ﴾ [سورة الانشقاق : ٢] فأخبر أنه يسمع إلى هذا وهذا .

وفي الصحيح : « لا يزال عبدى يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا

(١) عبارة « والفضيل بن عياض » : ساقطة من (ز) .

(٢) الحديث عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه فى : سنن ابن ماجة ٤٢٥/١ (كتاب إقامة الصلاة ، باب فى حسن الصوت بالقرآن) . أورده الشيخ الألبانى فى « ضعيف الجامع الصغير » ٣/٥ ونقل عن السيوطى أنه فى سنن ابن ماجة وفى صحيح ابن حبان وفى المستدرک للحاكم وفى شعب الإيمان للبيهقى عن فضالة بن عبيد ، وضعفه الألبانى ، ولكن ذكر الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي فى تعليقه على سنن ابن ماجة « فى الروائد : إسناده حسن » وقال : « أذنا : بفتحين ، بمعنى : استماعاً » . والحديث عن فضالة أيضاً فى : المسند (ط . الحلبي) ١٩/١٦ ، ٢٠ .

(٣) ز : الآخر الصحيح .

(٤) ك : يتغن ؛ ز : يقرأ .

(٥) الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه فى : البخارى ١٩١/٦ (كتاب فضائل القرآن ، باب من لم يتغن بالقرآن) ، ١٥٧/٩ (كتاب التوحيد ، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم : الماهر بالقرآن مع الكرام البررة ...) ؛ مسلم ٥٤٥/١ - ٥٤٦ (كتاب صلاة المسافرين ، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن) ؛ سنن أبى داود ١٠١/٢ (كتاب الوتر ، باب استحباب الترتيل فى القراءة) ؛ سنن النسائى ١٤١/٢ (كتاب الصلاة ، باب التغنى بالقرآن) ؛ المسند (ط . المعارف) ٨٨ - ٨٦/١٤ ، ٢٢٩ .

(٦) ز : قد أذن .

(٧) ك : استمتع ، وهو تحريف .

أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ^(١) ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها » ^(١) فأخبر أنه لا يزال يتقرب بالنوافل بعد الفرائض [حتى يحبه ، و « حتى » حرف غاية ، يدل على أنه يحبه بعد تقربه بالنوافل والفرائض] ^(٢) .

وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه تعالى قال : « قال ^(٣) الله : أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا ذكرنى ، إن ^(٤) ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملاء ذكرته فى ملاء خير منهم » ^(٥) وحرف « إن » حرف الشرط ، والجزاء يكون بعد الشرط ، فهذا يبيّن أنه يذكر العبد [بعد أن يذكره العبد] ^(٦) إن ذكره ^(٧) فى نفسه [ذكره فى نفسه] ^(٨) وإن ذكره فى ملاء ذكره

(١ - ١) : ساقط من (ز) . والحديث عن أنى هريرة رضى الله عنه ، وأوله : إن الله قال : من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشئ أحب إلى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل الحديث ، وهذه رواية البخارى . انظر الحديث فى : البخارى ١٠٥/٨ (كتاب الرقاق ، باب التواضع) . وهو عن عائشة رضى الله عنها فى : المسند (ط . الحلبي) ٢٥٦/٦ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ك) ، (ض) ، وأثبتته من (ز) .

(٣) ز : عن ربه عز وجل قال يقول .

(٤) ز : فإن .

(٥) هذا جزء من حديث عن أنى هريرة وأنس فى : البخارى ١٢١/٩ (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ويحذر كم الله نفسه) ، ١٥٦/٩ (كتاب التوحيد ، باب ذكر النبى صلى الله عليه وسلم وروايته عن ربه) ؛ مسلم ٢٠٦٧/٤ - ٢٠٦٨ (كتاب الذكر ، باب فضل الذكر) ، ٢١٠٢/٤ (كتاب التوبة ، باب فى الحض على التوبة) ؛ سنن الترمذى ٢٣٨/٥ - ٢٣٩ (كتاب الدعوات ، باب منه) ؛ سنن ابن ماجة ١٢٥٥/٢ - ١٢٥٦ (كتاب الأدب ، باب فضل العمل) ؛ المسند (ط . المعارف) ١٥٤/١٣ - ١٥٥ ، (ط . الحلبي) ٤١٣/٢ ، ٤٣٥ ، ٤٠/٣ ، ١٢٢ ، وفى مواضع أخرى فيه .

(٦) ما بين المعقوفين فى (ز) فقط .

(٧) ز : إن ذكر .

(٨) ما بين المعقوفين فى (ز) فقط .

في ملاء خير منهم . والمنازع يقول : ما زال يذكره أزلا وأبداً . ثم يقول : ذكره وذكر غيره ، وسائر ما يتكلم الله به هو شيء واحد لا يتبعض ولا يتعدد ، فحقيقة قوله : إن الله لم يتكلم ولا يتكلم ولا يذكر أحداً .

وفي صحيح مسلم في حديث تعليم الصلاة : « وإذا قال الإمام : سمع الله لمن حمده ، فقولوا : اللهم ربنا ولك الحمد ، يسمع الله لكم » ^(١) فإن الله قال على لسان نبيه : سمع الله لمن حمده ، ^(٢) فقلوه : سمع الله لمن حمده ، لأن الجزاء بعد الشرط ، فقلوه : يسمع الله لكم ، مجزوم حُرِّك [بالكسر] ^(٣) لالتقاء الساكنين ، وهذا يقتضى أنه يسمع بعد أن تحمّلوا ^(٤) .

فصل

والمنازعون النفاة كذلك منهم من ينفي الصفات مطلقا ، فهذا يكون الكلام معه في الصفات ^(٤) مطلقا لا محض ^(٥) الصفات الاختيارية ، ومنهم من يثبت الصفات ويقول لا : يقوم بذاته شيء بمشيئته وقدرته ، فيقول : إنه لا يتكلم بمشيئته واختياره ، ويقول : لا يرضى ويسخط ، ويحب ويغض ، ويختار بمشيئته وقدرته ، ويقول : إنه لا يفعل فعلا هو الخلق يخلق به المخلوق ، ولا يقدر عنده على فعل يقوم بذاته ، بل مقدوره لا يكون إلا منفصلا منه ، وهذا موضع تنازع فيه النفاة .

مواقف النفاة
من مسألة الصفات
والرد عليهم

(١) سبق الحديث قبل صفحات قليلة .

(٢ - ٣) : في (ز) بدلا من هذه العبارات جاءت عبارات أخرى فيها تقديم وتأخير هكذا : « فقلوه : يسمع الله لكم مجزوم حرك بالكسر لالتقاء الساكنين ، وهذا يقتضى أنه يسمع بعد أن يقولوا : سمع الله لمن حمده ، لأن الجزاء بعد الشرط » .

(٣) بالكسر : ساقطة من (ك) ، (ض) وهى فى (ز) فقط .

(٤) ك (فقط) : الصلاة ، وهو تحريف .

(٥) ز : لا يخص (بلون نقط) .

فقيل : لا يكون مقدره إلا (١) بائناً عنه ، كما يقوله (٢) الجهمية والكلائية
والمعتزلة . وقيل : لا يكون مقدره إلا ما يقوم بذاته ، كما يقوله السالمية (٣)
والكرامية . والصحيح أن كليهما مقدر (٤) له .

أما الفعل ، فمثل قوله تعالى (٥) : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ
عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ [سورة الأنعام : ١٥] (٦) .

وقوله : ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ [سورة القيامة : ٤٠] .
وقول الحواريين : ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾
[سورة المائدة : ١١٢] .

وقوله : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ
مِثْلَهُمْ ﴾ [سورة يس : ٨١] .

وقوله (٧) : ﴿ أُولَٰئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزَمْ
بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ [سورة الأحقاف : ٣٣] إلى أمثال ذلك / مما
يبين أنه يقدر على الأفعال كالإحياء والبعث ونحو ذلك .

وأما القدرة على الأعيان ، ففي الصحيح عن أبي مسعود قال : « كنت
أضرب غلاماً فرأى النبي ﷺ ، فقال : « اعلم أبا مسعود [اعلم

(١) ز : لا ، وهو تحريف .

(٢) ز : تقوله .

(٣) ز : المشامية .

(٤) ك : كلاهما مقدورا ؛ ز : كلاهما مقدر . والمثبت من (ض) .

(٥) تعال : ليست في (ز) .

(٦) ز : هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم .

(٧) وقوله : ساقطة من (ز) .

أبا مسعود : [(١) لله أقدر عليك منك على هذا] (٢) [فقوله : لله أقدر عليك منك على هذا] (٣) دليل على أن القدرة تتعلق بالأعيان المنفصلة : قدرة الرب وقدرة العبد .

ومن الناس من يقول : كلاهما يتعلق بالفعل ، كالكرامية . ومنهم من يقول : قدرة الرب تتعلق بالمنفصل ، وأما قدرة العبد فلا تتعلق إلا بفعل في محلها ، كالأشعرية .

والنصوص تدل على أن كلا القدرتين تتعلق بالمتصل والمنفصل ، فإن الله تعالى أخبر أن العبد يقدر على أفعاله كقوله : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [سورة التغابن : ١٦] ، وقوله : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ قَتَايَتِكُمْ ﴾ [سورة النساء : ٢٥] ، فدل على (٤) أنه منا من يستطيع ذلك ، ومنا من لم يستطيع .

وقال النبي ﷺ : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطيع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء » أخرجاه في الصحيحين (٥) .

(١) ما بين المعقوفين في (ز) فقط .

(٢) الحديث - مع اختلاف في الألفاظ - عن أبي مسعود البدرى الأنصارى رضى الله عنه في : مسلم ١٢٨٠/٣ - ١٢٨١ (كتاب الأيمان ، باب صحة المالك) ؛ سنن أبى داود ٤٦٢/٤ (كتاب الأدب ، باب في حق المملوك) ؛ سنن الترمذى ٢٢٥/٣ - ٢٢٦ (كتاب البر والصلة ، باب النهى عن ضرب الخدم وشتمهم) ؛ المسند (ط . الحلبي) ١٢٠/٤ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ك) فقط .

(٤) ز : أيمانكم ، يدل على أن ...

(٥) الحديث بهذا اللفظ عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه في : البخارى ٣/٧ (كتاب النكاح ، باب من استطاع الباءة فليتزوج) ، ولفظ أطول وألفاظ مقاربة في : البخارى ٣/٧ (الكتاب نفسه ، باب من لم يستطيع الباءة فليصم) ، ٢٦/٣ (كتاب الصوم ، باب الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة) ؛ مسلم ١٠١٨/٢ - ١٠١٩ (كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح لم تأقت نفسه إليه ووجد مؤنة) ؛ سنن النسائى ١٤١/٤ (كتاب الصيام ، باب ذكر الاختلاف على محمد بن أبى =

وقوله : « إن استطعت أن تعمل بالرضا مع اليقين فافعل » (١) .

وقوله في الحديث الذى فى الصحيح (٢) : « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » (٣) ، وقد أخبر أنه قادر على عبده ، وهؤلاء الذين يقولون : لا تقوم به الأمور الاختيارية عمدتهم أنه لو قامت به الحوادث لم يخل منها ، وما لم يخل من الحوادث فهو حادث .

وقد نازعهم الناس فى كلا المقدمتين ، وأصحابهم المتأخرون - كالرازى والآمدى - قدحوا فى المقدمة الأولى فى نفس هذه المسألة ، وقدح الرازى فى المقدمة الثانية فى غير موضع من (٤) كتبه ، وقد بسط الكلام على ذلك فى غير هذا الموضع .

= يعقوب) ؛ سنن ابن ماجة ١/٥٩٢ (كتاب النكاح ، باب ما جاء فى فضل النكاح) ؛ سنن الدارمى ١٣٢/٢ (كتاب النكاح ، باب من كان عنده طول فليتزوج) ؛ المسند (ط . المعارف) ١/٤١١ ، ٤١٢ ، ٢٠٨/٥ ، ٤٩/٦ ، ٥٣ .

(١) قال العراقى عن هذا الحديث فى تعليقه على الإحياء ١٢/٣٤ : « الترمذى من حديث ابن عباس » ولم أستطع العثور على الحديث فى سنن الترمذى ولا فى غيره من المراجع ولكن ابن تيمية ذكر الحديث مطولاً فى كتاب « الاستقامة » وبقيته « ... فافعل ، فإن لم تستطع فإن فى الصبر على ما تكره خيراً كثيراً » . وبينت فى تعليقى على الحديث فى كتاب « الاستقامة » أن الجزء الأخير منه وهو : إن فى الصبر على ما تكره خيراً كثيراً هو جزء من حديث ابن عباس رضى الله عنهما الذى أوله : « كنت رديف النبى ﷺ فقال : يا غلام - أو يا غليم - ألا أعلمك كلمات » الحديث وهو فى المسند (ط . المعارف) ٢٨٦/٤ - ٢٨٨ .

(٢) ز : فى الحديث الصحيح .

(٣) الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه فى : البخارى ٩/٩٤ - ٩٥ (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ) ونصه : « دعوى ما تركتكم ، إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » . والحديث مع اختلاف فى الألفاظ فى : مسلم ٢/٩٧٥ (كتاب الحج ، باب فرض الحج مرة فى العمر) ؛ سنن النسائى ٥/٨٣ (كتاب المناسك ، باب وجوب الحج) ؛ سنن ابن ماجة ١/٣ (المقدمة ، اتباع سنة رسول الله ﷺ) .

(٤) من : ساقطة من (ز) .

وقولهم : إنما ^(١) عرفنا حدوث العالم بهذه الطريق ، وبه أثبتنا الصانع .
فيقال ^(٢) لهم : لا جرم ابتدعتم طريقا لا يوافق السمع ولا العقل ، فالعالملون
بالشرع يعرفون أنكم مبتدعون محدثون في الإسلام ما ليس منه ، والذين يعقلون
ما يقولون يعلمون أن العقل يناقض ما قلتم ، وأن ما جعلتموه دليلا على إثبات
الصانع لا يدل على إثباته ، [بل] ^(٣) هو استدلال على نفى الصانع .

وإثبات الصانع حق ، وهذا الحق يلزم من ثبوته إبطال استدلالكم بأن ما لم
يخل من الحوادث فهو حادث .

وأما كون ^(٤) طريقكم مبتدعة ما سلكها الأنبياء ولا أتباعهم ولا سلف
الأمة ، فلأن كل ^(٤) من يعرف ما جاء به الرسول ، وإن كانت معرفته متوسطة لم
يصل في ذلك إلى الغاية ، يعلم أن الرسول ﷺ ^(٥) لم يدع الناس في [معرفة] ^(٦)
الصانع وتوحيده وصدق رسله إلى الاستدلال بثبوت الأعراض وأنها حادثة ولازمة
للأجسام ، وما لم يخل من الحوادث فهو حادث ، لامتناع حوادث لا أول لها ،
[بل] يعلم ^(٧) بالاضطرار أن هذه الطريق لم يتكلم بها الرسول ، ولا دعا إليها
أصحابه ، ولا [أصحابه] ^(٨) تكلموا بها ، ولا دعوا بها الناس .

وهذا يوجب العلم الضروري من دين الرسول بأنه عند الرسول ^(٩)

(١) ك ، ض : إنا .

(٢) ك ، ض : يقال .

(٣) بل : ساقطة من (ك) .

(٤ - ٤) : ساقط من (ز) .

(٥) ﷺ : ساقطة من (ز) .

(٦) معرفة : ساقطة من (ك) .

(٧) ك ، ض : لا أول لها فعلم .

(٨) أصحابه : زيادة في (ز) .

(٩) ك : بأنه عبد الرسول ، وهو تحريف . ض : فإن عند الرسول . والمثبت من (ز)

والمؤمنين به أن الله يُعرف ، ويُعرف / توحيده وصدق رسله ، بغير هذه الطريق ،
فدل الشرع دلالة ضرورية على أنه لا حاجة إلى هذه الطريق ، ودل ما فيها من
مخالفة نصوص الكتاب والسنة على أنها طريق باطلة ، فدل الشرع على أنه
لا حاجة إليها وأنها باطلة .

وأما العقل ^(١) فقد بسط القول في جميع ما قيل فيها في غير هذه المواضع ،
وبيّن أن أئمة أصحابها قد يعترفون بفسادها من جهة العقل ، [كما] ^(٢) يوجد في
كلام أبي حامد والرازي وغيرهما بيان فسادها .

ولما ظهر فسادها للعقل تسلّط الفلاسفة على سالكيها ، وظنت الفلاسفة
أنهم [إذا] ^(٣) قدحوا فيها فقد قدحوا في دلالة الشرع ، ظنا منهم أن الشرع جاء
بموجبها ، إذ كانوا أجهل بالشرع والعقل من سالكيها ، فسالكوها لا للإسلام
نصروا ، ولا لأعدائه كسروا ، بل سلّطوا الفلاسفة عليهم وعلى الإسلام ، وهذا كله
مبسوط في مواضع .

وإنما المقصود هنا أن يُعرف أن نفهم للصفات الاختيارية - التي يسمونها
حلول الحوادث - ليس لهم دليل عقلي عليه ، وحُذِّقهم يعترفون ^(٤) بذلك .
وأما السمع فلا ريب أنه مملوء بما يناقضه ، والعقل أيضا يدل على نقيضه ^(٥) من
وجوه تبينها على بعضها .

ولما لم يكن مع أصحابها حجة لا عقلية ولا سمعية من الكتاب والسنة ،
احتال متأخروهم فسلكوا طريقا سمعية ظنوا أنها تنفعهم ، فقالوا : ^(٦) هذه

(١) ك : وأما الفعل ، وهو تحريف .

(٢) كا : ساقطة من (ك) .

(٣) إذا : ساقطة من (ك) .

(٤) ز : معترفون .

(٥) ز : يدل نقيضها ، وهو تحريف .

(٦) ك : تنقضهم فقال ، وهو تحريف .

الصفات إن كانت صفات نقص وجب تنزيه الرب عنها ، وإن كانت صفات (١) كإل فقد كان فاقداً [لها] (٢) قبل حدوثها ، وعدم الكمال نقص ، فيلزم أن يكون كان ناقصاً ، وتنزيهه عن النقص واجب بالإجماع .

وهذه الحجة من أفسد الحجج ، وذلك من وجوه :

الرد على حجة للنفاة
من وجوه
الأول

أحدها : أن هؤلاء يقولون : نفى النقص عنه لم يُعلم بالعقل وإنما علم بالإجماع ، وعليه اعتمدوا في نفى النقص [هنا] (٣) ، فيعود [الأمر] إلى (٤) احتجاجهم بالإجماع . ومعلوم أن الإجماع لا يحتج به في موارد النزاع (٥) ، فإن المنازع لهم يقول : أنا لم أوافقكم على نفى هذا المعنى ، وإن وافقتكم على إطلاق القول بأن الله منزّه عن النقص ، فهذا المعنى عندي ليس بنقص ، ولم يدخل فيما (٦) سلمته لكم ، فإن بينتم بالعقل أو بالسمع انتفاءه (٧) ، وإلا فاحتجاجكم بقولي - مع أنني لم أرد ذلك - كذب عليّ ، فإنكم تحتجون بالإجماع ، والطائفة المثبتة من أهل الإجماع ، وهم لم يسلموا هذا .

الثاني : [أن يُقال : لا نسلم] (٨) أن عدم هذه الأمور قبل وجودها نقص ، بل لو وجدت قبل وجودها لكان نقصاً . مثال ذلك : تكليم الله لموسى عليه السلام (٩) ونداؤه له ، فنداؤه (١٠) حين ناداه صفة كإل ، ولو ناداه قبل أن

الثاني

(١) ز : صفة .

(٢) لها : ساقطة من (ك) فقط .

(٣) هنا : ساقطة من (ك) ، (ض) .

(٤) ك : فيعود إلى ؛ ض : فيعود إلى . والمثبت من (ز) .

(٥) ز : أن الإجماع في مورد النزاع .

(٦) ك : فيها ، وهو تحريف .

(٧) ز : انتفاؤه ، وهو خطأ .

(٨) ما بين المعرفتين ساقط من (ك) ، (ض) ، وأثبتته من (ز) .

(٩) عليه السلام : ليست في (ز) .

(١٠) ز : ومناداته له فنداه .

يجيء لكان ذلك نقصاً ، فكل منها كمال حين وجوده ، ليس بكمال قبل وجوده ، بل وجوده قبل الوقت الذى تقتضى الحكمة وجوده فيه نقص .

الثالث : أن يقال : لا نُسلِّم أن [عدم ذلك نقص ، فإن] ما كان (١) حادثاً امتنع أن يكون قديماً ، وما كان ممتنعاً لم يكن عدمه نقصاً ، وإنما النقص فوات (٢) ما يمكن من صفات الكمال .

الرابع : أن هذا يريد فى كل ما فعله الرب وخلقه ، فيقال : خَلَقَ هذا : إن كان نقصاً فقد اتصف بالنقص ، وإن كان كمالاً فقد كان فاقداً له . فإن قلت : صفات الأفعال عندنا ليست بنقص ولا كمال . قيل : إذا قلت ذلك أمكن المنازع أن يقول : هذه الحوادث ليست بنقص ولا كمال .

الخامس : أن يقال : إذا عُرض على العقل الصريح ذات يمكنها أن تتكلم بقدرتها وتفعل ما تشاء بنفسها (٣) ، وذات لا يمكنها أن تتكلم بمشيئتها ولا تتصرف بنفسها ألبتة ؛ بل هى بمنزلة الزَّمن الذى لا يمكنه فعل يقوم به باختياره ، قضى العقل الصريح بأن هذه الذات أكمل ، وحينئذ فأنتم الذين (٤) وصفتم الرب بصفة النقص ، والكمال فى اتصافه (٥) بهذه الصفات ، لا فى نفى اتصافه بها .

السادس : أن يُقال : الحوادث التى يمتنع كون (٦) كل منها أزلياً ، ولا يمكن وجودها إلا شيئاً فشيئاً ، إذا قيل : [أيُّما] (٧) أكمل : أن يقدر على

(١) ك : لا نسلم أن كل ما كان والمثبت من (ز) ، (ض) .

(٢) ك : نوات ، وهو تحريف .

(٣) ز : بنفسه ، وهو خطأ .

(٤) ك : الذى ، وهو تحريف .

(٥) ك : اتصاله ، وهو تحريف .

(٦) ك : يمتنع يكون ؛ ض : يمتنع أن يكون . والمثبت من (ز) .

(٧) أيُّما : ساقطة من (ك) .

فعلها شيئاً فشيئاً أو لا يقدر على ذلك ؟ كان معلوماً ، بصريح العقل ، أن القادر على فعلها شيئاً فشيئاً أكمل ممن لا يقدر على ذلك . وأنتم تقولون : إن الرب لا يقدر على شيء من هذه الأمور ، وتقولون : إنه يقدر على أمور مباينة له . ومعلوم أن قدرة القادر على فعله المتصل به قبل قدرته على أمور مباينة له ، فإذا قلتم : لا يقدر على فعل متصل به ، لزم أن لا يقدر على المنفصل . فلزم على قولكم أن لا يقدر على شيء ، ولا أن يفعل شيئاً ، فلزم أن لا يكون خالقاً لشيء . وهذا لازم للنفاة لا محيد لهم عنه .

ولهذا قيل : الطريق التي سلكوها في حدوث العالم وإثبات الصانع يناقض حدوث العالم وإثبات الصانع ، ولا يصح القول بحدوث العالم وإثبات الصانع إلا بإبطالها لا بإثباتها ، فكأن ^(١) ما اعتمدوا عليه وجعلوه أصولاً للدين ودليلاً عليه ، هو في نفسه باطل شرعاً وعقلاً ، وهو مناقض للدين ومنافٍ له ، [كما أنه مناقض للعقل ومنافٍ له] ^(٢) .

ولهذا كان السلف والأئمة يعيرون كلامهم هذا ويذمونهم ، ويقولون : « من طلب العلم بالكلام تزندق » ^(٣) ، كما قال أبو يوسف ، ويروى عن مالك . ويقول الشافعي : « حكمتي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال » ^(٤) ، ويُطاف بهم في العشائر ^(٥) ، ويُقال : هذا جزء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام » ^(٥) ،

(١) ك ، ض ، ز : فكان . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ك) ، (ض) ، وأثبتته من (ز) .

(٣) ز : العلم من الكلام ، وهو تحريف . وهذا النص ذكره الهروي في كتاب « ذم الكلام » ونقله عنه السيوطي في كتابه « صون المنطق والكلام » (تحقيق د . علي النشار ، د . سعاد عبد الرازق ، ط . ثانية ، القاهرة ، ١٩٧٠) ١ / ١٠٠ .

(٤ - ٤) : ساقط من (ز) .

(٥) ذكر هذا النص السيوطي ، صون المنطق ١ / ١٠٦ .

وقال الإمام (١) أحمد بن حنبل : « علماء الكلام زنادقة ، وما ارتدى (٢) أحد بالكلام فأفلح » (٣) .

وقد صدق الأئمة في ذلك ، فإنهم يبنون أمرهم على كلام مجمل يُروج على من لم يعرف حقيقته ، فإذا اعتقد أنه حق تبين (٤) أنه مناقض للكتاب والسنة ، فيبقى (٥) في قلبه مرض ونفاق ، وريب وشك ، بل طعن فيما جاء به الرسول .

وهذه هي الزندقة ، وهو كلام باطل من جهة العقل ، كما قال بعض السلف (٦) العلم بالكلام هو الجهل ، فهم يظنون أن معهم عقليات وإنما معهم جهليات : ﴿ كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [سورة النور : ٣٩] ، هذا هو الجهل المركب ، [لأنهم] (٧) كانوا في شك وحيرة فهم في : ﴿ ظَلَمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ رَأَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ [سورة النور : ٤٠] .

أين هؤلاء من نور القرآن والإيمان ؟ قال الله تعالى (٨) : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ

(١) الإمام : ساقطة من (ز) .

(٢) ك : وما ابتداء ، والمثبت من (ز) ، (ض) .

(٣) ذكر ابن الجوزي نصا قريبا من هذا النص في « تلييس إبليس » ص ٨٣ . وانظر ص ٨٢ -

٨٣ ؛ وانظر أيضا : درء تعارض العقل والنقل ١/٢٣٢ ، ١٥٨/٧ ، ٢٤٣ - ٢٤٦ .

(٤) ض : وتبين .

(٥) ك : يبقى ؛ ض : بقي . والمثبت من (ز) .

(٦) ز : بعض العلماء .

(٧) لأنهم : ساقطة من (ك) .

(٨) ز : قال تعالى .

الرُّجَاةُ كَأَنَّهَا كَوَّكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ
وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ
مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿ [سورة النور : ٣٥] .

فإن قيل : أما كون الكلام والفعل يدخل في الصفات الاختيارية فظاهر ؛
فإنه يكون بمشيئة الرب وقدرته . وأما الإرادة والمحبة والرضا والغضب ففيه نظر ،
فإن ^(١) نفس الإرادة هي المشيئة ، وهو سبحانه إذا خلق من يجه - كالخليل -
فإنه يجه ، ويحب المؤمنين ويحبونه .

/ وكذلك إذا عمل الناس أعمالا يراها ^(٢) وهذا لازم لابد من ذلك ،

ص ٧٨

فكيف يدخل في الاختيار ؟

قيل : كل ما كان بعد عدمه فإنما يكون بمشيئة الله وقدرته ، وهو سبحانه
ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، فما شاءه ^(٣) وجب كونه ، وهو يجب بمشيئة ^(٤)
الرب وقدرته ، وما لم يشأه امتنع كونه مع قدرته عليه . كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا
لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ [سورة السجدة : ١٣] ، ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلْنَا الَّذِينَ
مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٣] ، ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ [سورة الأنعام :
١١٢] ^(٥) .

(١) ك : كأن ، وهو تحريف .

(٢) ك : رآها .

(٣) ض : فما شاء .

(٤) ك ، ض : وهو تحت مشيئة .

(٥) في (ز) اختلف ترتيب الآيات وفي آية سورة البقرة زيادة : من بعدهم من بعد ما جاءهم

فكون الشيء واجب الوقوع لكونه قد سبق به القضاء ، وعلم ^(١) أنه لا بد من كونه [لا] ^(٢) يمتنع أن يكون واقعاً بمشيئته وقدرته ، وإرادته - وإن كانت من لوازم ذاته كحياته وعلمه - فإن إرادته للمستقبلات ^(٣) هي مسبوقه بإرادته للماضي : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [سورة يس : ٨٢] ، وهو إنما أراد هذا الثاني بعد أن أراد قبله ما يقتضى إرادته ، فكان حصول الإرادة اللاحقة بالإرادة السابقة .

والناس قد اضطربوا في مسألة إرادة الله سبحانه وتعالى ^(٤) على أقوال متعددة ، ومنهم من نفاه . ورجَّح الرازي هذا في « مطالبه العالية » ^(٥) ، لكن - والله الحمد - نحن قد قررناها [وبينها] ^(٦) وبيننا فساد الشبه المانعة منها ، وأن ما جاء به الكتاب والسنة هو الحق المحض الذى تدل عليه المعقولات الصريحة ، وأن صريح العقول موافق لصحيح المنقول .

وكنا قد ^(٧) بيننا أولاً أنه يمتنع تعارض الأدلة القطعية ، فلا يجوز أن يتعارض دليان قطعيان ، سواء كانا عقليين أو سمعيين ، أو كان أحدهما عقلياً والآخر سمعياً . ثم بيننا بعد ذلك أنها متوافقة متناصرة متعاضده ، فالعقل يدل على صحة

(١) ك ، ض : على .

(٢) لا : ساقطة من (ك) .

(٣) ز : المستقبلات .

(٤) ز : الله تعالى .

(٥) « المطالب العالية » هو آخر ما ألفه فخر الدين الرازي (انظر ترجمته فيما سبق ١/١٨١) ومنه عدة نسخ خطية في القاهرة واسانبول ، وانظر ما ذكره عنه : محمد صالح الزركان رحمه الله في كتابه « فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية ، دار الفكر ، ١٣٨٣/١٩٨٣ » ص ٩٤ - ٩٦ .

(٦) وبينها : زيادة في (ز) .

(٧) قد : ساقطة من (ز) .

السمع ، والسمع يبين صحة العقل ، وأن من سلك أحدهما أفضى به إلى الآخر ، وأن الذين يستحقون العذاب هم الذين لا يسمعون ولا يعقلون .

كما قال الله تعالى (١) : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [سورة الفرقان : ٤٤] .

وقال تعالى : ﴿ كَلَّمَا الْقَىٰ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۚ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۚ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [سورة الملك : ٨ - ١٠] .

وقال [تعالى] (٢) : ﴿ أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [سورة الحج : ٤٦] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [سورة ق : ٣٧] .

فقد بين القرآن أن من كان يعقل ، أو كان يسمع ، فإنه يكون ناجياً وسعيداً ، ويكون مؤمناً بما جاءت به الرسل . وقد بسطت هذه الأمور في غير موضع ، والله أعلم .

(١) ز : كما قال تعالى .

(٢) تعالى : زيادة في (ز) .

فصل

وفحول النظرار : كأبي عبد الله الرازي ، وأبي الحسن الأمدى وغيرهما ذكروا
حجج النفاة لحلول الحوادث ^(١) ، وبينوا فسادها [كلها] ^(٢) فذكروا لهم أربع
حجج :

إحداها ^(٣) : [الحججة] ^(٤) المشهورة ، وهو أنها لو قامت به لم يخل منها
ومن أضدادها ، وما لم يخل من الحوادث فهو حادث ، ومنعوا المقدمة الأولى .
والمقدمة الثانية ذكر الرازي وغيره فسادها ، وقد بسط في غير هذه المواضع .
والثانية : أنه لو كان قابلا لها في الأزل لكان القبول من لوازم ذاته ،
فكان ^(٥) القبول يستدعى إمكان القبول ، ووجود الحوادث في الأزل محال ،
وهذه أبطلوها هم بالمعارضة بالقدرة : بأنه قادر على إحداث الحوادث ، والقدرة
تستدعى إمكان المقذور ، ووجود المقذور - وهو الحوادث - في الأزل محال .
وهذه الحججة / باطلة من وجوه :

أحدها : أن يُقال : وجود الحوادث [دائما] ^(٦) إما أن يكون ممكنا وإما
أن يكون ممتنعا ^(٧) ، فإن كان ممكنا أمكن قبولها والقدرة عليها دائما ، وحينئذ فلا
يكون وجود جنسها في الأزل ممتنعا ، بل يمكن أن يكون جنسها ^(٨) مقذورا

(١) ك : لخلول الاتحاد ، وهو خطأ .

(٢) كلها : ساقطة من (ك) .

(٣) ك ، ز : أحدها . والمثبت من (ض) .

(٤) الحججة : زيادة في (ض) .

(٥) ك : وكان .

(٦) دائما : زيادة في (ز) .

(٧) ك ، ض : إما أن يكون ممتنعا وإما أن يكون ممكنا ، والمثبت من (ز) .

(٨) ز : جنسا .

فساد حجج النفاة
لحلول الحوادث

الحجة الأولى

فساد هذه الحججة

الحجة الثانية

بطلان هذه الحججة
من وجوه

ظ ٧٨

الوجه الأول

مقبولاً ، وإن كان ممتنعاً فقد امتنع وجود حوادث لا تنتهي ، وحينئذ فلا تكون في الأزل ممكنة : لا مقدورة ولا مقبولة . وحينئذ فلا يلزم (١) من امتناعها [في الأزل امتناعها] بعد ذلك (٢) ، فإن الحوادث موجودة ؛ فلا يجوز أن يُقال بدوام امتناعها ، وهذا تقسيم حاصر (٣) يبين فساد هذه الحجة .

الوجه الثاني

الوجه الثاني : أن يُقال : لا ريب أن الرب تعالى قادر ، فإما أن يُقال : إنه لم يزل قادراً (٤) ، وإما أن يُقال : بل صار قادراً بعد أن لم يكن . فإن قيل : لم يزل قادراً ، وهو الصواب . فيقال : إذا كان لم يزل قادراً ، فإن كان المقدور لم يزل ممكناً ، أمكن دوام وجود الممكنات ، فأمكن دوام وجود الحوادث ، وحينئذ فلا يمتنع كونه قابلاً لها في الأزل .

وإن (٥) قيل : بل كان الفعل ممتنعاً ثم صار ممكناً . قيل : هذا جمع بين النقيضين ، فإن القادر لا يكون قادراً على ممتنع ، فكيف يكون قادراً مع (٦) كون المقدور ممتنعاً ؟ ثم يُقال : بتقدير إمكان هذا [كما] (٧) قيل : هو قادر في الأزل على ما يمكن فيما لا يزال ، [قيل :] (٨) وكذلك في القبول (٩) ، يُقال : هو قابل في الأزل لما يمكن فيما لا يزال .

(١) ك : فلا يلزم ، وهو تحريف .

(٢) ك : فلا يلزم من امتناعها بعد ذلك ؛ ض : فلا يلزم امتناعها بعد ذلك . والمثبت من (ز) .

(٣) ك : حاضر ، وهو تحريف .

(٤) ك ، ض : لم يزل قادراً وهو الصواب . وجاءت عبارة « وهو الصواب » في (ز) بعد سطر .

وهو الصواب الذي أثبتته .

(٥) ك ، ض : فإن .

(٦) ك ، ض : على ، وهو خطأ . والمثبت من (ز) .

(٧) كما : ساقطة من (ك) ، (ض) ، وأثبتها من (ز) .

(٨) قيل : ساقطة من (ك) ، (ض) ، وأثبتها من (ز) .

(٩) ك ، ض : المقبول . والمثبت من (ز) .

الوجه الثالث : [أنه سبحانه] ^(١) إذا قيل : هو قابل لما في الأزل ^(٢) فإنما هو قابل لما هو قادر عليه يمكن وجوده ، فإن ما يكون ^(٣) ممتنعاً لا يدخل تحت القدرة ، فهذا ليس بقابل له .

الوجه الرابع : أن يُقال : هو قادر على حدوث ما هو مبين له من المخلوقات . ومعلوم أن قدرة القادر على فعله القائم به أول من قدرته على المبين له ، وإذا كان الفعل لا مانع منه إلا ما يمتنع ^(٤) مثله لوجود المقدور المبين ، ثم ثبت أن المقدور المبين هو ممكن وهو قادر عليه ، فالفعل أن ^(٥) يكون ممكناً مقدوراً أول .

الحجة الثالثة لهم : أنهم قالوا : لو قامت به الحوادث للزم تغيره ، والتغير على الله محال . وأبطلوا هم هذه الحجة - الرازي وغيره - بأن قالوا : ما تريدون بقولكم : لو قامت به [للزم] تغيره ^(٦) ، أتريدون بالتغير نفس قيامها به أم شيء آخر ؟ فإن أردتم الأول كان المقدم هو الثاني ، والملزوم هو اللازم ، وهذا لا فائدة فيه ، فإنه يكون تقدير الكلام : لو قامت به الحوادث لقامت به ^(٧) الحوادث . وهذا كلام لا يفيد .

إثبات بطلان هذه الحجة

وإن أردتم بالتغير معنى غير ^(٨) ذلك فهي ممنوع ، فلا نسلم أنها لو قامت به لزم تغير غير حلول الحوادث ^(٩) ، فهذا جوابهم .

(١) أنه سبحانه : ساقطة من (ك) ، (ض) ، وأثبتها من (ز) .

(٢) عبارة « لما في الأزل » : ساقطة من (ز) ومكانها فيها : « لها » .

(٣) ك ، ض : فأما ما .

(٤) ك ، ض : إلا ما يمتنع .

(٥) ز : بأن .

(٦) ك : لو قامت به تغيره ؛ ض : لو قامت به تغير . والمثبت من (ز) .

(٧) به : ساقطة من (ز) .

(٨) غير : ساقطة من (ز) .

(٩) ز : فلا نسلم بها لو قامت لزم تغيره غير حلول الحوادث .

المعنى الصحيح
للتغير

وإيضاح ذلك : أن لفظ « التغير » لفظ مجمل ، فالتغير في اللغة المعروفة (١) لا يُراد به مجرد كون المحل قامت به الحوادث ، فإن الناس لا يقولون للشمس والقمر والكواكب إذا تحركت : إنها قد (٢) تغيرت ، ولا يقولون للإنسان إذا تكلم ومشى أنه تغير ، ولا يقولون إذا طاف وصلّى وأمر ونهى وركب : إنه تغير ، إذا كان ذلك عادته ، بل إنما يقولون : « تغير » ، لمن استحال من صفة إلى صفة ، كالشمس [ما] (٣) زال نورها ظاهراً ، لا يقال : إنها تغيرت ، فإذا اصفرت ، قيل [قد] (٤) تغيرت .

وكذلك الإنسان إذا مرض أو تغير (٥) جسمه بجوع أو تعب (٦) ، قيل : قد تغير . وكذلك إذا تغير خلقه ودينه ، / مثل أن يكون فاجراً فيتوب (٧) ويصير (٨) براً ، أو يكون براً فينقلب فاجراً ، فإنه يقال : قد تغير . ومنه الحديث (٩) : رأيت وجه رسول الله ﷺ متغيراً ، [وهو] لما رأى به (١٠) أثر الجوع ، ولم يزل يراه يركع ويسجد (١١) ، فلم يسم حركته تغيراً .

ص ٧٩

(١) ك : المعروف .

(٢) قد : ساقطة من (ز) .

(٣) ما : ساقطة من (ك) ، وفي (ض) : إذا .

(٤) قد : ساقطة من (ك) ، (ض) .

(٥) ز : وتغير .

(٦) ز : أو بعث ، وهو تحريف .

(٧) ض : فينقلب .

(٨) ز : فيصير .

(٩) ك ، ض : وفي الحديث .

(١٠) ك ، ض : متغيراً لما رأى منه .

(١١) لم أعرف الحديث المقصود ، ولكن ذكر المنذرى في « الترغيب والترهيب » ١٥٢/٥ -

١٥٣ ط . مصطفى الخليلي ١٣٥٢/١٩٣٣) عن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال : أتيت النبي ﷺ فرأيتته متغيراً . فقلت : بأبي أنت وأمي مالي أراك متغيراً ؟ قال : ما دخل جوفى ما يدخل جوف ذات كبد منذ ثلاث ... الحديث . وقال المنذرى : « رواه الطبراني ، ولا يحضرنى الآن إسناده ، إلا أن شيخنا الحافظ أبا الحسن رحمه الله كان يقول : إسناده جيد » .

وكذلك يقال فلان قد تغير على فلان : إذا صار يبغضه بعد المحبة ^(١) ، فأما إذا كان ثابتا ^(٢) على مودته لم يسم هشتته إليه وخطابه له تغيراً ^(١) ، وإذا جرى ^(٣) على عادته في أقواله وأفعاله فلا يقال إنه قد تغير .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [سورة الرعد : ١١] . ومعلوم أنهم إذا كانوا على عادتهم المحمودة : يقولون ويفعلون ما هو خير ، لم يكونوا قد غيروا ما بأنفسهم . فإذا انتقلوا عن ذلك فاستبدلوا بقصد الخير قصد الشر ، وباعتقادهم الحق ^(٤) اعتقاد الباطل ، قيل : قد غيروا ما بأنفسهم ، مثل من كان يحب الله ورسوله والدار الآخرة ، فتغير قلبه ، وصار لا يحب الله ورسوله والدار الآخرة ، فهذا قد غير ما في نفسه .

وإذا كان هذا معنى التغير ، فالرب تعالى لم يزل ولا يزال موصوفاً بصفات الكمال ، منعوتاً بنعوت الجلال والإكرام ، وكاله من لوازم ذاته ، فيمتنع أن يزول عنه شيء من صفات كماله ، ويمتنع أن يصير ناقصاً بعد كماله .

وهذا الأصل عليه [يدل] ^(٥) قول السلف وأهل السنة : إنه لم يزل متكلماً إذا شاء ، ولم يزل قادراً ، ولم يزل موصوفاً بصفات الكمال ، ولا يزال كذلك ، فلا يكون متغيراً .

وهذا معنى قول من يقول : « يا مَنْ يُغَيِّرُ وَلَا يَتَغَيَّرُ » فإنه يحيل صفات المخلوقات ويسلبها ما كانت متصفة [به] ^(٦) إذا شاء ، ويعطيها ^(٧) من صفات الكمال ما لم يكن لها ، وكاله من لوازم ذاته : لم يزل ولا يزال موصوفاً بصفات الكمال .

(١ - ١) : ساقط من (ز) .

(٢) ض : فإذا كان ثابتاً .

(٣) ز : وإما إذا جرى ...

(٤) ك ، ض : وباعتقاد الحق . والثبت من (ز) .

(٥) يدل : ساقطة من (ك) ، (ض) ، وأثبتها من (ز) .

(٦) به : ساقطة من (ك) .

(٧) ك : ويعطيها . والثبت من (ز) ، (ض) .

قال تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [سورة القصص . ٨٨] . وقال
تعالى : ﴿ كُلٌّ مِّنْ عَلَيْهَا فَأِنَّ . وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [سورة
الرحمن : ٢٦ ، ٢٧] .

ولكن هؤلاء النفاة هم الذين يلزمهم أن يكون قد تغَيَّر ، فإنهم يقولون :
كان في الأزل لا يمكنه أن يقول شيئا ، ولا يتكلم بمشيئته وقدرته ، وكان
ذلك ^(١) ممتنعا عليه لا يتمكن منه ، ثم صار الفعل ممكنا يمكنه أن يفعل .

ولهم في الكلام قولان . فمن أثبت ^(٢) الكلام المعروف ، وقال : إنه
يتكلم بمشيئته وقدرته ، قال أيضا ^(٣) : إنه صار الكلام ممكنا له بعد أن كان
ممتنعا عليه .

ومن لم يصفه بالكلام المعروف ، بل قال : إنه يتكلم بلا مشيئته
وقدرته ^(٤) ، كما تقوله الكَلَّابِيَّة ، فهؤلاء ^(٥) أثبتوا كلاما لا يُعقل ولم يسبقهم
إليه أحد من المسلمين .

بل كان المسلمون قبلهم على قولين : فالسلف وأهل السنة يقولون : إنه
يتكلم بمشيئته وقدرته ، وكلامه غير مخلوق . والجهمية يقولون : إنه مخلوق
بقدرته ومشيئته . فقال هؤلاء : بل يتكلم بلا مشيئته وقدرته ، وكلامه شيء
واحد لازم لذاته ، وهو حرف - أو حروف ^(٦) - وأصوات أزلية لازمة
لذاته ، كما قد بسط في غير هذا الموضع .

(١) ز : ولا يتكلم بمشيئته فكان ذلك ...

(٢) ك ، ض : من يثبت . والمثبت من (ز) .

(٣) أيضا : ساقطة من (ض) .

(٤) ض : بلا مشيئة ولا قدرة .

(٥) ز : فهو . وهو تحريف .

(٦) ز : وهو حروف .

والمقصود أن هؤلاء كلهم الذين يمنعون أن [يكون] ^(١) الرب لم يزل يمكنه أن يفعل ما يشاء ^(٢) ، ويقولون : ذلك يستلزم وجود حوادث لا تتناهى ، وذلك محال ؛ فهؤلاء يقولون : صار الفعل ممكناً له بعد أن كان ممتنعاً عليه .

وحقيقة قولهم : إنه صار قادراً بعد أن لم يكن قادراً . وهذا حقيقة التغير ، مع أنه لم يحدث سبب يوجب كونه قادراً .

وإذا قالوا : هو في الأزل قادر على ما لا يزال .

قيل : هذا جمع بين النفي والإثبات ، فهو في الأزل كان قادراً ، فكان الفعل ممكناً له ^(٣) أو ممتنعاً عليه ؟

ظ ٧٩ إن قلت : ممكن له ، فقد جَوِّزتم دوام كونه فاعلاً ، وأنه قادر / على حوادث لا نهاية لها .

وإن قلت : بل كان ممتنعاً . قيل ^(٤) : القدرة على الممتنع [ممتنع] ^(٥) ، فمع كون ^(٦) الفعل ممتنعاً غير ممكن ، لا يكون مقدوراً للقادر ، إنما المقدور هو الممكن لا الممتنع .

فإذا قلت : أمكنه بعد ذلك . فقد قلت : إنه أمكنه أن يفعل بعد أن كان لا يمكنه أن يفعل . وهذا صريح في أنه صار قادراً بعد أن لم يكن ، وهو صريح في التغير .

(١) يكون : ساقطة من (ك) ، (ض) . وأثبتها من (ز) .

(٢) ك ، ض : ما شاء . والمثبت من (ز) .

(٣) ز : وكان الفعل ممكناً له ؛ ض : أفكان القول ممكناً له .

(٤) ك : قبل . وهو تحريف .

(٥) ممتنع : ساقطة من (ك) ، (ض) . وأثبتها من (ز) .

(٦) ض : مع كون .

فهؤلاء النفاة الذين قالوا : إن المثبتة يلزمهم القول بأنه تغير ، قد بان بطلان قولهم ، وأنهم هم الذين قالوا بما يوجب (١) تغيره .

وإذا قال المنازع (٢) : أنا أريد بكونه تغير (٣) : أنه يتكلم (٤) بمشيعته وقدرته ، وأنه يجب من أطاعه (٥) ، ويفرح بتوبة التائب ، ويأتي يوم القيامة .

قيل : فهب أنك سميت هذا تغييراً ، فلم قلت : إن هذا ممتنع ؟

فهذا محل النزاع ، كما قال الرازي : « فالمقدم هو التالي » (٦) .

وقد (٧) ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الله يوصف بالغيرة ، وهي مشتقة من التغير . فقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : « لا أحد أعير من الله أن يزيني عبده أو تزني أمته » (٨) .

(١) ض : إنما يوجب ، وهو تحريف . والمثبت من (ك) ، (ز) .

(٢) سبق العبارات التي تبدأ بجملة : « وإذا قال المنازع » كلام في نسخة (ك) - ونقلته نسخة

(ض) - هو في غير موضعه ، وقد استغرق ثلاثة أسطر . والذي أثبتته هو الذي في نسخة (ز) وهو

الصواب ، وسأشير إلى الكلام الذي جاء في غير موضعه عندما نصل إليه إن شاء الله .

(٣) ض : تغير ، وهو تحريف .

(٤) ك ، ض : تكلم . والمثبت من (ز) .

(٥) ض (فقط) : وأنه يجب منا الطاعة .

(٦) ض (فقط) : هو الثاني ، وهو خطأ .

(٧) ض (فقط) : فقد .

(٨) الحديث عن عائشة أم المؤمنين رضی الله عنها في : البخارى ٣٥/٧ (كتاب النكاح ، باب

الغيرة) ولفظه فيه : « يا أمة محمد ما أحد أعير من الله أن يرى عبده أو أمته يزيني . يا أمة محمد لو تعلمون

ما أعلم لضحككم قليلاً ولبيكتكم كثيراً » . وجاء الحديث عنها - مطولاً ، وأوله : خسفت الشمس في عهد

رسول الله الحديث . ومنه : فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « إن الشمس والقمر آيتان

من آيات الله » ثم قال : « يا أمة محمد ، والله ما من أحد أعير الحديث . وهو - مع اختلاف يسير

في الألفاظ - في البخارى ٣٤/٢ (كتاب الكسوف ، باب الصدقة في الكسوف) ؛ مسلم ٦١٨/٢

(كتاب الكسوف ، باب صلاة الكسوف) ؛ سنن النسائي ١٠٨/٣ (كتاب الكسوف ، باب نوع آخر

منه (من صلاة الكسوف) ؛ المسند (ط . الحلبي) ١٦٤/٦ .

وقال أيضا : « لا أحد أحب إليه المدح من الله ، من أجل ذلك مدح نفسه ، ولا أحد أحب إليه العذر من الله ، من أجل ذلك بعث الرسل وأنزل الكتب ^(١) ، ولا أحد أغير من الله ، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن » ^(٢) .

[وفي الحديث الصحيح أيضا لما قال سعد بن عباد : لو رأيت لكأع - يعنى امرأة سعد ^(٣) - قد تفخّذها رجل لضربته بالسيف] ^(٤) فقال ^(٥) : أتعجبون من غيرة سعد ، لأنا أغير منه ، والله أغير منى ^(٦) .

(١) ز : من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين . وهى من ألفاظ الحديث .
(٢) الحديث - مع اختلاف فى الألفاظ - عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فى : البخارى ٥٧/٦ (كتاب التفسير ، تفسير سورة الأنعام ، باب ولا تقربوا الفواحش) ، ٣٥/٧ (كتاب النكاح ، باب الغيرة) ، ١٢٠/٩ (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ويحذر كم الله نفسه) ؛ مسلم ٢١١٣/٤ - ٢١١٤ (كتاب التوبة ، باب غيرة الله تعالى) ؛ سنن الترمذى ٢٠٠/٥ - ٢٠١ (كتاب الدعوات ، باب حدثنا محمد بن بشار) ؛ المسند (ط . المعارف) ٢١٩/٥ - ٢٢٠ ، ٥٧/٦ - ٥٩ ، سنن الدارمى ١٤٩/٢ (كتاب النكاح ، باب فى الغيرة) .

(٣) فى الأصل (ز) يوجد بياض بعد كلمة امرأة ، ويبدو أنه مكان كلمة محاها الناسخ . وفى « لسان العرب » : « والمرأة لكأع مثل قظام وقالوا فى النداء للرجل : يا لكعُ ، وللمرأة : يا لكأع وفى حديث سعد بن معاذ : أريت إن دخل رجل بيته فرأى لكأعا قد تفخّذ امرأته ، أيزهه فيحضر أربعة شهداء ؟ » .

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ك) ، (ض) ، وأثبتته من (ز) .

(٥) ك ، ض : وقال . والمثبت من (ز) .

(٦) جاء الحديث مطولا ومختصرا مع اختلاف فى الألفاظ عن المغيرة بن شعبه رضى الله عنه فى : البخارى ١٧٣/٨ (كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة ، باب من رأى مع امرأته رجلا فقتله) ، ١٢٣/٩ - ١٢٤ (كتاب التوحيد ، باب قول النبي ﷺ : لا شخص أغير من الله) ؛ مسلم ١١٣٥/٢ - ١١٣٦ (كتاب اللعان ، الأحاديث ١٤ - ١٧) ؛ سنن الدارمى ١٤٩/٢ (كتاب النكاح ، باب فى الغيرة) .

١) الحجة الرابعة : قالوا : حلول الحوادث به أفول ، والخليل قد قال : ﴿ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ٧٦] . والآفل هو المتحرك الذى تقوم به الحوادث ، فلا يكون إلها (١) .

الحجة الرابعة

والجواب : أن قصة الخليل حجة عليهم لا لهم ، وهم المخالفون لإبراهيم ، ولنبيينا ، ولغيرهما من الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام . وذلك أن الله تعالى قال : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ . فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ . فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة الأنعام :

الرد عليها

. [٧٩ - ٧٦]

فقد أخبر الله فى كتابه أنه من حين بزغ الكوكب والقمر والشمس ، وإلى حين أفولها ، لم يقل الخليل : لا أحب البازغين ، ولا المتحركين ، ولا المتحولين ، ولا أحب من تقوم به الحركات ولا الحوادث . ولا قال شيئا مما يقوله النفاة ، حتى (٢) أفل الكوكب والشمس والقمر .

والأفول باتفاق أهل اللغة والتفسير ، هو المغيب (٣) والاحتجاب ، بل هذا معلوم بالاضطرار من لغة العرب التى نزل بها القرآن ، وهو المراد باتفاق العلماء .

(١ - ١) : هذه العبارات جاءت فى (ك) ، (ض) فى غير موضعها حيث أشرت إليها من قبل .
والذى أثبتته هنا هو الذى فى (ز) ، وهو الصواب .

(٢) ض (فقط) : حين .

(٣) ك ، ض : الغيب .

فلم يقل إبراهيم : لا أحب الآفلين ، حتى ^(١) أفل وغاب عن الأبصار ، فلم يبق مرثيا ولا مشهودا ، فحينئذ قال : لا أحب الآفلين . وهذا يقتضى أن كونه متحركا منتقلا تقوم به الحوادث ، بل كونه جسما متحركا تقوم به الحوادث ، لم يكن دليلا عند إبراهيم على نفى محبته .

فإن كان إبراهيم إنما استدل بالأفول على أنه ليس هو رب العالمين كما زعموا ، لزم من ذلك أن يكون ما تقدم الأفول ^(٢) من كونه متحركا منتقلا تحله الحوادث ، بل ومن كونه جسما متميزا ، لم يكن دليلا / عند إبراهيم على أنه ليس رب العالمين ، وحينئذ فيلزم أن تكون قصة إبراهيم حجة على نقيض مطلوبهم ، لا على نفس مطلوبهم ^(٣) . وهكذا نجد ^(٤) أهل البدع لا يكادون يحتجون بحجة سمعية ولا عقلية ، إلا وهى عند التأمل ^(٥) حجة عليهم لا لهم .

ولكن إبراهيم لم يقصد بقوله : (هذا ربي) أنه رب العالمين ، ولا كان أحد من قومه يقول ^(٦) : إنه رب العالمين ، حتى يرد ذلك عليهم ^(٧) ، بل كانوا مشركين مقررين بالصانع ، وكانوا يتخذون الكواكب والشمس والقمر أربابا ، يدعونها ^(٨) من دون الله ، ويبنون لها الهياكل . وقد صنفت ^(٩) فى مثل مذهبهم كتب ، مثل كتاب

(١) ض : حين .

(٢) ك : ما يقوم الأفول ؛ ض : ما يقوم به الأفول . والمثبت من (ز) .

(٣) ك ، ض : لا على تعيين مطلوبهم . والمثبت من (ز) .

(٤) نجد : ساقطة من (ض) .

(٥) ك : عند التأويل .

(٦) ك ، ض : يقولون .

(٧) ض : من تجويز ذلك عليهم ، وهو تحريف .

(٨) ز : يدعونهم .

(٩) ز : صنفت .

« السر المكتوم ، في السحر ومخاطبة النجوم » (١) وغيره من الكتب .

ولهذا قال الخليل : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ .

فَأِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الشعراء ٧٥ - ٧٧] .

وقال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ

قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا

وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ﴾ [سورة المتحنة : ٤] .

ولهذا قال الخليل في تمام الكلام : ﴿ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ . إِنِّي وَجْهْتُ

وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة

الأنعام : ٧٨ ، ٧٩] . فقوله : (وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا

وما أنا من المشركين) [(٢) يبين (٣) أنه إنما يعبد الله وحده ، فله يوجه وجهه ، فإنه

[إذا] توجه (٤) قصده إليه تبع (٥) قصده وجهه ، فالوجه موجه (٦) حيث توجه

القلب ، فصار قلبه وقصده ووجهه متوجها إلى الله تعالى .

ولهذا قال : (وما أنا من المشركين) لم يذكر أنه أقر بوجود الصانع ، فإن

هذا كان معلوماً عند قومه ، لم يكونوا ينازعونه في وجود فاطر السماوات والأرض ،

(١) ز : في مخاطبة النجوم . وقد ذكر هذا الكتاب ابن خلكان (وفيات الأعيان ٣/٣٨١) وابن

حجر (لسان الميزان ٤/٤٢٦) والزركلي (الأعلام ٧/٢٠٣) . ومنه نسخ خطية عديدة . انظر ما ذكره بروكلمان في GAL : GI, 507, SI, 735, 920-924, S.III, 1085 . والأستاذ محمد صالح الزركان في كتابه

« فخر الدين الرازي » ص ١٠٩ - ١١١ ، ط . دار الفكر ، بيروت ، ١٣٨٣/١٩٦٣ .

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ك) ، (ض) ، وأثبتته من (ز) .

(٣) ك ، ض : بين .

(٤) ك ، ض : وجهه إذا توجه ؛ ز : فإنه أراد توجه . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٥) ض (فقط) : يتبع .

(٦) ك ، ض : توجه .

وإنما كان النزاع في عبادة غير الله واتخاذها رباً ، وكانوا يعبدون الكواكب السماوية ويتخذون لها أصناماً أرضية .

وهذا النوع الثاني من الشرك ، فإن الشرك في قوم نوح كان أصله من عبادة الصالحين أهل القبور ، ثم صوّروا تماثيلهم ، فكان شركهم بأهل الأرض ، إذ كان الشيطان إنما يضل الناس بحسب الإمكان ، فكان تزيينه ^(١) أولاً الشرك بالصالحين أيسر عليه .

ثم قوم إبراهيم انتقلوا إلى الشرك بالسماويات ، فالكواكب ^(٢) وضعوا لها الأصنام بحسب ما رأوه من طبائعها ، يصنعون لكل كوكب [بيتاً] وطعاماً ^(٣) وخاتماً ونخوراً وأقوالاً ^(٤) تناسبه .

وهذا كان قد اشتهر على عهد إبراهيم إمام الحنفاء . ولهذا قال الخليل : ﴿ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۚ أَفُنْكَآ آٰلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ۚ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الصافات : ٨٥ - ٨٧] ^(٥) . وقال لهم : ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۗ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الصافات : ٩٥ ، ٩٦] .

وقصة إبراهيم قد ذكرت في غير موضع من القرآن مع قومه : إنما فيها نهيهم عن الشرك ، بخلاف قصة موسى مع فرعون ، فإنها ظاهرة في أن فرعون كان مظهراً لإنكار الخالق وجحوده .

(١) ض : ترتيبه . والكلمة غير منقوطة في (ز) وغير واضحة في (ك) . ولعل ما أثبتته هو الصواب .

(٢) ك ، ض : بالكواكب .

(٣) ك ، ض : لكل كوكب طعاماً . والمثبت من (ز) .

(٤) ض : وأموالاً .

(٥) جاءت الآية ٨٥ من سورة الصافات محرفة في (ك) .

وقد ذكر الله عن إبراهيم أنه حاجّ الذي حاجّه في ربه في قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٨] فهذا قد يقال : إنه كان جاحداً للصانع ، ومع هذا فالقصة ليست صريحة في ذلك ، بل يدعو الإنسان إلى عبادة نفسه ، وإن كان لا يصرح بإنكار الخالق ، مثل إنكار فرعون .

وبكل حال فقصد إبراهيم إلى أن تكون حجة عليهم أقرب منها إلى أن تكون حجة لهم ، وهذا بين ، والله الحمد ، بل ما ذكره الله عن إبراهيم يدل على أنه كان يثبت ما ينفونه عن الله ، فإن إبراهيم قال : ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [سورة إبراهيم : ٣٩] والمراد أنه ^(١) يستجيب الدعاء ، كما يقول المصلي : سمع الله لمن حمده ، وإنما يسمع ^(٢) الدعاء ويستجيبه بعد / وجوده لا قبل وجوده .

ظ ٨٠

كما قال تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ﴾ [سورة المجادلة : ١] ، فهي تجادل وتشتكى حال سمع الله تحاورهما ^(٣) ، وهذا يدل على أن سمعه كرؤيته المذكورة في قوله : ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة التوبة : ١٠٥] وقال : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة يونس : ١٤] فهذه رؤيه مستقلة ونظر مستقل . وقد تقدم أن المعدوم لا يرى ولا يسمع منفصلاً عن الرائي السامع باتفاق العقلاء ، فإذا وجدت الأقوال والأعمال سمعها ورآها ^(٤) .

(١) ك ، ض : والمراد به أنه ...

(٢) ك : يستمع .

(٣) ك : تجاورها ، وهو تحريف .

(٤) ز : الأعمال والأقوال رآها وسمعها .

والرؤية والسمع أمر وجودى لا بد له من موصوف يتصف به ، فإذا كان هو الذى رآها وسمعها ، امتنع أن يكون غيره هو المتصف بهذا السمع وهذا الرؤية ، وأن تكون قائمة بغيره ، فنعين قيام (١) هذا السمع وهذه الرؤية به ، بعد أن خلقت الأعمال والأقوال ، وهذا قطعى (٢) لا حيلة فيه .

وقد بسط الكلام على هذه المسألة ، وما قاله (٣) فيها عامة الطوائف ، فى غير هذا الموضوع ، وحكى ألفاظ الناس [وحججهم] (٤) بحيث يتقن الإنسان أن النافى ليس معه حجة لا سمعية ولا عقلية ، وأن الأدلة العقلية الصريحة موافقة لمذهب السلف وأهل الحديث (٥) ، وعلى ذلك يدل الكتاب والسنة ، مع الكتب المتقدمة : التوراة والإنجيل والزبور ، فقد اتفق عليها نصوص الأنبياء وأقوال السلف وأئمة العلماء ، ودلت عليها (٦) صرائح المعقولات .

فالمخالف فيها كالمخالف فى أمثالها من ليس معه حجة لا سمعية ولا عقلية ، بل هو شبيه بالذين قالوا : ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [سورة الملك : ١٠] . قال الله تعالى (٧) : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [سورة الحج : ٤٦] (٨) .

(١) ك : مقام ، وهو تحريف .

(٢) ك ، ض : مطعن .

(٣) ك ، ض : وما قال .

(٤) وحججهم : ساقطة من (ك) ، (ض) .

(٥) ز : لمذهب أهل الحديث والسلف .

(٦) ز : عليه .

(٧) ز : وقال تعالى .

(٨) فى (ك) ، (ض) ، (ز) حرفت الآية إلى أو لم يسيروا

ولكن هذه المسألة ومسألة الزيارة وغيرهما حدث من المتأخرين فيها شبه .
وأنا وغيرى كنا على مذهب الآباء في ذلك : نقول في الأصلين بقول أهل البدع ،
فلما تبين لنا ما جاء به الرسول دار الأمر بين أن نتبع ما أنزل الله ، أو نتبع ما وجدنا
عليه آباءنا ، فكان الواجب هو اتباع الرسول ، وأن لا نكون ممن قيل فيه : ﴿ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ [سورة لقمان : ٢١] .
وقد قال تعالى : ﴿ قُلْ أُولُو عِمْتِكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ﴾
[سورة الزخرف : ٢٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ
تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ
سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ [سورة لقمان : ١٥] .

فالواجب اتباع الكتاب المنزل والنبي المرسل ، وسبيل من أناب إلى الله
فاتبع الكتاب والسنة ، كالمهاجرين والأنصار ، دون ما خالف ذلك من دين الآباء
وغير الآباء ، والله يهدينا وسائر إخواننا إلى الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم
عليهم (١) من النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

والله سبحانه أنزل القرآن ، وهدى به الخلق ، وأخرجهم به من الظلمات
إلى النور . وأم القرآن هي فاتحة الكتاب ، قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح :
« يقول الله : قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين : نصفها لى ، ونصفها
لعبدى ، ولعبدى ما سأل . فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله :
حمدنى عبدى . فإذا قال : الرحمن / الرحيم ، قال الله (٢) : أثنى على عبدى . فإذا

(١) ض (فقط) : أنعم الله عليهم .

(٢) ز : قال يقول الله .

قال : مالك يوم الدين . قال الله ^(١) : مجدني عبدي [وقال مرة : فوض إلى عبدي] ^(٢) . فإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين . قال الله ^(٣) : هذه ^(٤) بيني وبين عبدي ، ولعبدي ما سأل . فإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . قال : هؤلاء ^(٥) لعبدي ولعبدي ما سأل ^(٦) .

فهذه السورة فيها لله الحمد في الدنيا ^(٧) والآخرة ، وفيها للعبد ^(٨) السؤال ، وفيها لله العباداة له وحده ^(٩) ، وللعبد ^(١٠) الاستعانة ، فحق الرب حمده وعبادته وحده ، وهذان ^(١١) : حمد الرب وتوحيده ، يدور عليهما جميع الدين .
ومسألة الصفات الاختيارية هي من تمام حمده ، فمن لم يقر بها لم يمكنه الإقرار بأن الله محمود ألبتة ، ولا أنه رب العالمين ، فإن الحمد ضد الذم ، والحمد هو الإخبار بمحاسن المحمود مع المحبة له ، والذم هو الإخبار بمساوىء المذموم مع البغض له .

(١) كلمة « الله » ليست في (ز) .

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة في (ز) .

(٣) كلمة « الله » ليست في (ز) .

(٤) ز : هنا .

(٥) ز : هنا .

(٦) سبق الحديث في هذا الجزء (ص ٢٤ - ٢٥) .

(٧) ك ، ض : فيها لله الحمد فله الحمد في الدنيا والمثبت من (ز) .

(٨) ز : للعبدي ، وهو تحريف .

(٩) ك ، ض : وفيها العباداة لله وحده . والمثبت من (ز) .

(١٠) ز : للعبد .

(١١) ز : وهو أن ، وهو تحريف .

وجماع المساويء فعل الشر ، كما أن جماع المحاسن فعل الخير ، فإذا كان يفعل الخير بمشيئته وقدرته استحق الحمد ، فمن لم يكن له فعل اختياري يقوم به ، بل ولا يقدر على ذلك ، لا يكون خالقا ولا رباً للعالمين .

[والله تعالى يحمد نفسه بأفعاله ، لقوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الفاتحة : ٢] (١) ، وقوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ [سورة الأنعام : ١] ، ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ [سورة الكهف : ١] ونحو ذلك ، فإذا لم يكن له فعل يقوم به باختياره امتنع ذلك كله ، فإنه من المعلوم بصرح العقل أنه إذا خلق السموات والأرض فلا بد من فعل يصير به (٢) خالقا [لها] (٣) ، وإلا فلو استمر الأمر على حال واحدة ولم (٤) يحدث فعلا ، لكان الأمر على ما كان [عليه] (٥) قبل أن يخلق ، وحينئذ فلم يكن المخلوق موجوداً ، فكذلك يجب أن لا يكون المخلوق موجوداً ، إن كان الحال في المستقبل مثلما كان في الماضي ، لم يحدث من الرب فعل هو خلق السموات والأرض .

وقد قال تعالى : ﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ ﴾ [سورة الكهف : ٥١] . ومعلوم أنهم قد شهدوا نفس المخلوق ، فدل على أن الخلق [الذي] (٦) لم يشهدوه ، وهو تكوينه لهما (٧) وإحداثه لهما (٨) غير المخلوق التالي (٩) .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ك) ، (ض) ، وأثبتته من (ز) .

(٢) به : ساقطة من (ز) .

(٣) لها : زيادة في (ز) .

(٤) ك ، ض : ... واحدة لم ...

(٥) عليه : ساقطة من (ك) ، (ض) .

(٦) الذي : ساقطة من (ك) ، (ض) ، وأثبتها من (ز) .

(٧) ك ، ض : لها .

(٨) ك ، ض ، ز : لها . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٩) ك ، ض : الباقي .

وأيضاً فإنه قال : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [سورة الأعراف : ٥٤] ، فالخلق لها كان في ستة أيام ، وهي موجودة بعد الستة (١) ، فالذى اختص بالستة (٢) غير الموجود بعد الستة (٣) .

وكذلك [قال] (٤) : ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة الفاتحة : ٣] فإن الرحمن الرحيم هو الذى يرحم العباد (٥) بمشيئته وقدرته ، فإن لم يكن له رحمة إلا نفس الإرادة (٦) القديمة ، أو صفة أخرى قديمة ، لم يكن موصوفاً بأنه يرحم من يشاء ويعذب من يشاء .

قال الخليل (٧) : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾ [سورة العنكبوت : ٢٠ ، ٢١] ، فالرحمة ضد التعذيب ، والتعذيب فعله ، وهو يكون بمشيئته ، وكذلك (٨) الرحمة تكون بمشيئته ، كما قال : ﴿ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ ﴾ القديمة اللازمة لذاته ، أو صفة أخرى كذلك (٩) ، ليست بمشيئته ، فلا بمشيئته .

وإن قيل ليس بمشيئته إلا المخلوقات المباشرة ، لزم أن لا تكون [الرحمة] (١٠)

(١) ك ، ض : بعد المشيئة .

(٢) ك ، ض : بالمشيئة .

(٣) ك ، ض : المشيئة .

(٤) قال : ساقطة من (ك) ، (ض) .

(٥) ز : العباد ، وهو تحريف .

(٦) ك ، ض : إرادة ، وهو تحريف .

(٧) عبارة « قال الخليل » : ساقطة من (ز) .

(٨) ك ، ض : كذلك .

(٩) ض : لذاته .

(١٠) الرحمة : ساقطة من (ك) ، (ض) ، وأثبتها من (ز) .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : « أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَاتِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ ، وَمَنْ شَرَّ عِبَادِهِ ، وَمَنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ، وَأَنْ يَحْضُرُونَ » * (١) .

ويدل على ذلك قوله : ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَأُ يَرْحَمَكُمُ أَوْ إِنْ يَشَأُ يُعَذِّبِكُمْ ﴾ [سورة الإسراء : ٥٤] فَعَلَّقَ الرَّحْمَةَ بِالْمَشِيئَةِ ، كَمَا عَلَّقَ التَّعْذِيبَ [بِالْمَشِيئَةِ] (٢) ، وَمَا تَعَلَّقَ بِالْمَشِيئَةِ مِمَّا يَتَّصِفُ بِهِ الرَّبُّ فَهُوَ مِنَ الصِّفَاتِ الْإِخْتِيَارِيَةِ .

وكذلك كونه مالكا ليوم الدين ، يوم (٣) يدين العباد بأعمالهم : إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ [سورة الانفطار : ١٧ - ١٩] (٤) ، فَإِنَّ الْمَلِكَ هُوَ الَّذِي يَتَصَرَّفُ [بِالْأَمْرِ] يَا مِرَ فِيطَاع (٥) ، وَهَذَا إِذَا يُقَالُ : « مَلِكٌ » ، إِذَا يُقَالُ « لِحَى مَطَاعُ الْأَمْرِ (٦) ، لَا يُقَالُ فِي الْجَمَادَاتِ لِصَاحِبِهَا : « مَلِكٌ » ، إِذَا يُقَالُ لَهُ : « مَالِكٌ » . وَيُقَالُ لِعَسُوبِ النَّحْلِ : « مَلِكُ النَّحْلِ » لِأَنَّهُ يَا مِرَ فِيطَاع ، وَالْمَالِكُ الْقَادِرُ عَلَى التَّصَرُّفِ فِي الْمَمْلُوكِ .

(١) الحديث عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (وهو عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما) في : سنن أبي داود ١٧/٤ (كتاب الطب ، باب كيف الرقي) ؛ سنن الترمذي ٢٠٠/٥ (كتاب الدعوات ، باب ٩٦) وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب . وأول الحديث عنده : « إذا فزع أحدكم في النوم فليقل : أعوذ بكلمات ... الحديث . وهو عنه أيضا في المسند (ط . المعارف) ٢٢٢/١٠ - ٢٢٣ . والحديث - مع اختلاف يسير في الألفاظ - عن الوليد بن الوليد رضي الله عنه في المسند (ط . الخليلي) ٥٥٧/٤ ، ٦/٦ . وعن يحيى بن سعيد عن خالد بن الوليد رضي الله عنه في : الموطأ ٩٥٠/٢ (كتاب الشعر ، باب ما يؤمر به من التعوذ) .

(٢) بالمشيئة : ساقطة من (ك) ، (ض) ، وأثبتها من (ز) .

(٣) يوم : ساقطة من (ز) .

(٤) في (ك) ، (ض) ، (ز) : يوم الدين وما أدراك ما يوم الدين يوم ... إلخ .

(٥) ك ، ض : يتصرف بأمر فيطاع . والمثبت من (ز) .

(٦) ك ، ز : لحي مطيع الأمر . والمثبت من (ض) .

وإذا كان الملك هو الأمر الناهي المطاع ، فإن كان يأمر وينهى بمشيئته كان أمره ونهيه من الصفات الاختيارية ، وبهذا أخبر القرآن . قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [سورة المائدة : ١] .

وإن كان لا يأمر وينهى بمشيئته ، بل أمره لازم له حاصل بغير مشيئته ولا قدرته ، لم يكن هذا مالكا أيضا ، بل هذا إلى أن يكون مملوكا [أقرب] (١) ، فإن الله تعالى خلق الإنسان ، وجعل له صفات تلزمه ، كاللون (٢) والطول والعرض والحياة (٣) ، ونحو ذلك ، مما يحصل (٤) لذاته بغير اختياره ، فكان (٥) باعتبار ذلك (٦) مملوكا مخلوقا للرب فقط ، وإنما يكون ملكا إذا كان يأمر وينهى (٧) باختياره فيطاع (٨) ، وإن كان الله خالقا لفعله ولكل شيء .

ولكن المقصود أنه لا يكون ملكا إلا من (٩) يأمر وينهى بمشيئته وقدرته (١٠) ، [فمن نفى الصفات الاختيارية وقال : ليس للرب أمر ونهى يقوم به بمشيئته] (١١) بل من قال : إنه لازم له بغير مشيئته ، أو قال : إنه مخلوق له ، فكلاهما يلزمه أنه لا يكون ملكا .

(١) أقرب : ساقطة من (ك) ، (ض) ، وأثبتها من (ز) .

(٢) ز : كالقوى .

(٣) ض : والحياة .

(٤) ك : يجعل ، وهو تحريف .

(٥) ك ، ز : كان . والمثبت من (ض) .

(٦) ذلك : غير ظاهرة في (ز) .

(٧) وينهى : ساقطة من (ز) .

(٨) فيطاع : غير واضحة في مصورة (ز) .

(٩) إلا من : مطموسة في (ز) .

(١٠) وقدرته : ساقطة من (ز) .

(١١) ما بين المعقوفين ساقط من (ك) ، (ض) وأثبتها من (ز) . وكلمة « أمر » طمست بعض

حروفها في مصورة (ز) .

وإذا لم يمكنه أن يتصرف بمشيئته لم يكن ملكا^(١) أيضا ؛ فمن قال : إنه لا يقوم به فعل اختياري لم يكن عنده في الحقيقة مالكا لشيء . وإذا اعتبرت سائر القرآن وجدت أنه من لم يقر بالصفات الاختيارية ، لم يقر^(٢) بحقيقة الإيمان ولا القرآن .

فهذا يبين أن الفاتحة وغيرها تدل على الصفات الاختيارية . وقوله : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة : ٥] فيه إخلاص العبادة لله والاستعانة به ، وأن المؤمنين لا يعبدون إلا الله ولا يستعينون إلا بالله ، فمن دعا غير الله من المخلوقين / أو^(٣) استعان بهم ، من أهل القبور أو غيرهم^(٤) ، لم يحقق قوله : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ، ولا يحقق ذلك إلا من فرق^(٥) بين الزيارة الشرعية والزيارة البدعية ، فإن الزيارة الشرعية عبادة لله ، وطاعة لرسوله ، وتوحيد لله ، وإحسان إلى عباده ، وعمل صالح من الزائر يثاب عليه . والزيارة البدعية شرك بالخالق ، وظلم للمخلوقات^(٦) ، وظلم النفس .

فصاحب الزيارة الشرعية هو الذى يحقق قوله : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ، ألا ترى أن اثنين لو شهدا جنازة ، فقام أحدهما يدعو للميت ، ويقول : اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه ، وأكرم نزله ووسّع^(٧) مدخله ، واغسله بماء وتلج وبرد ، ونقه من الذنوب والخطايا كما يُنقى الثوب الأبيض من

(١) ك ، ض : مالكا .

(٢) ز : لم يقر .

(٣) أو : ساقط من (ز) .

(٤) ك ، ض : وغيرهم .

(٥) ك : ولا يحقق ذلك الأمر وفرق ... إلخ ، وهو تحريف .

(٦) ك ، ض : للمخلوق .

(٧) ك : وأوسع .

الدنس ، وأبدله داراً خيراً من داره ، [وجيرانا خيراً من جيرانه] ^(١) ، وأهلاً خيراً من أهله ، ^(٢) وأعدّه من عذاب النار وعذاب القبر ، وافسح له في قبره ، ونور له فيه ^(٣) ، ونحو ذلك من الدعاء له ، وقام الآخر فقال : يا سيدي أشكو إليك ديوني وأعدائي وذنوبي ، وأنا ^(٤) مستغيث بك ، مستجير بك ، [أجرني] ^(٥) ، أغثنى ، ونحو ذلك ، لكان الأول عابداً لله ، ومحسناً ^(٦) إلى خلقه ، محسناً إلى نفسه بعبادة الله ونفع ^(٧) عباده ، وهذا الثاني مشركاً [بالله] ^(٨) مؤذياً ظالماً معتدياً على [هذا] ^(٩) الميت ظالماً لنفسه .

فهذا بعض ما بين البدعية والشرعية من الفروق . والمقصود أن صاحب الزيارة الشرعية إذا قال : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ كان صادقاً ، لأنه لم يعبد إلا الله ، ولم يستعن إلا به ، وأما صاحب الزيارة البدعية فإنه عبد غير الله واستعان بغيره .

فهذا بعض ما يبين أن الفاتحة - أم القرآن - اشتملت على بيان المسألتين المتنازِع فيهما : مسألة الصفات الاختيارية ، ومسألة الفرق بين الزيارة الشرعية والزيارة البدعية . والله تعالى هو المسئول أن يهدينا وسائر إخواننا إلى صراطه المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ك) ، (ض) ، وأثبتته من (ز) .

(٢ - ٣) : ساقط من (ز) .

(٤) ك ، ض : أنا .

(٥) أجرني : زيادة في (ز) .

(٦) ز : محسناً .

(٧) ك ، ض : ونفعه .

(٨) بالله : ليست في (ك) ، (ض) ، وأثبتها من (ز) .

(٩) هذا : زيادة في (ز) .

ومما يوضح ذلك أن النبي ﷺ قال : « إذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله : حمدني عبدي ، فإذا قال : الرحمن الرحيم ، قال أثنى عليّ (١) عبدي ، فإذا قال (٢) : مالك يوم الدين ، قال الله : مجدني (٣) عبدي » فذكر الحمد والثناء والمجد ، [ثم (٤) بعد ذلك يقول : إياك نعبد وإياك نستعين إلى آخرها .

هذا في أول القراءة : في قيام الصلاة ، ثم في آخر القيام بعد الركوع يقول : « ربنا ولك الحمد ، (٥) ملء السماء وملء الأرض ، إلى قوله (٥) : أهل الثناء والمجد ، أحق ما قال العبد - وكلنا لك عبد - : لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد » (٦) .

وقوله : « أحق ما قال العبد » خبر مبتدأ محذوف : أى هذا الكلام أحق ما قال العبد ، فتبين أن حمد الله والثناء عليه [وتمجيده] (٧) أحق ما قاله العبد ، وفي ضمنه توحيده ، لأنه قال (٨) : « ولك الحمد » أى لك لا لغيرك . وقال في

(١) عليّ : ساقطة من (ز) .

(٢) قال : ساقطة من (ز) .

(٣) ز : قال مجدني ...

(٤) ثم : ساقطة من (ك) ، (ض) ، وأثبتها من (ز) .

(٥-٥) : ساقط من (ز) .

(٦) الحديث عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه في : مسلم ٣٤٧/١ (كتاب الصلاة ، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع) ؛ سنن النسائي (بشرح السيوطي) ١٥٦/٢ (كتاب التطبيق ، باب ما يقوله في قيامه ذلك) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٨٧/٣ . والحديث بألفاظ مقاربة عن ابن عباس رضى الله عنهما في مسلم (في نفس الكتاب والباب السابقين) وعن شعبة بن الحكم في : مسلم ٣٤٣/١ (كتاب الصلاة ، باب اعتدال أركان الصلاة) . وانظر : الأذكار للنووي ، ص ٥٢ - ٥٣ (باب ما يقوله في رفع رأسه من الركوع وفي اعتداله) ؛ جامع الأصول لابن الأثير ٣٥/٥ - ٣٦ .

(٧) في (ز) : والثناء عليه ومجد . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٨) ك : لا قال ، وهو تحريف . وفي (ض) : إذا قال . والمثبت من (ز) .

آخره : « لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت » وهذا يقتضى انفرادة بالعطاء والمنع ، فلا يستعان إلا به ، ولا يطلب إلا منه . ثم قال : « ولا ينفع ذا الجد منك ، الجد » فبيّن أن الإنسان وإن أُعطي الملك والغنى والرياسة ، فهذا لا ينجيه منك ، إنما ينجيه الإيمان والتقوى . وهذا تحقيق قوله ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (١) ، وكان هذا الذكر (٢) آخر القيام مناسباً للذكر (٣) أول القيام .

وقوله : « أحق ما قال العبد » يقتضى أن يكون حمد الله أحق / الأقوال بأن يقوله العبد ، وما كان أحق الأقوال كان أفضلها وأوجبها على الإنسان .

ظ ٨٨

ولهذا افترض (٤) الله (٥) على عباده في كل صلاة أن يفتتحوها بقولهم : (الحمد لله رب العالمين) . وأمرهم أيضاً أن يفتتحوا كل خطبة بالحمد لله ، فأمرهم أن يكون [الحمد لله] (٦) مقدماً على كل كلام : سواء كان خطاباً للخالق أو خطاباً للمخلوق .

ولهذا يقدم النبي ﷺ الحمد أمام الشفاعة يوم القيامة (٧) . ولهذا أمرنا

(١) عبارة « إياك نستعين » : ليست في (ز) .

(٢) ك : فكان في هذا الذكر ؛ ض : فكان هذا الذكر .

(٣) ك ، ض : ... القيام لأنه ذكر ... ، وهو تحريف . والمثبت من (ز) .

(٤) ك : افترض ، وهو تحريف .

(٥) لفظ الجلالة ليس في (ز) .

(٦) عبارة « الحمد لله » : ساقطة من (ك) ، (ض) وأثبتها من (ز) .

(٧) ز : أمام شاعته (كذا) يوم القيامة . وفي حديث الشفاعة الذي ذكره البخارى في صحيحه

٨٤/٦ - ٨٥ (كتاب التفسير ، سورة بنى إسرائيل : باب ذرية من حملنا مع نوح) « فيقولون :

يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فانطلق فأتى تحت العرش ، فأقع ساجداً لربى عز وجل ، ثم يفتح الله على من حماده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلى ... الحديث . وجاء حديث الشفاعة في مواضع

كثيرة في الصحيحين وغيرهما . وانظر ما ذكرته من قبل في هذا الجزء (ص ٢٥) .

بتقديم الثناء على الله في التشهد قبل الدعاء^(١). وقال النبي ﷺ: « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجدم »^(٢).

وأول من يُدعى إلى الجنة الحمّادون الذين يحمّدون الله على السراء والضراء .

(١) انظر الأحاديث المختلفة التي جاءت فيما يقال في التشهد في : جامع الأصول لابن الأثير

٢٦٤/٦ - ٢٦٩ .

(٢) لم أجد حديثاً بهذا اللفظ ، ولكن ذكر السيوطي في « الجامع الصغير » حديثاً عن أبي هريرة رضى الله عنه هو : « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع » وذكر السيوطي أن الحديث قد أخرجه ابن ماجه والبيهقي في السنن (هـ ، هـ) . وأورد الألباني الحديث في « ضعيف الجامع الصغير وزيادته » ١٤٧/٤ . وقال : « ضعيف » . كما أورد الألباني حديثاً آخر أخرجه السيوطي عن أبي هريرة وهو : « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله ، والصلاة علىّ فهو أقطع أتر محموق من كل بركة » وقال السيوطي : (الرهاوى عن أبي هريرة) . وقال الألباني (المرجع السابق ١٤٨/٤) : « ضعيف » . وذكر السيوطي هذا الحديث الأخير في « الجامع الكبير » ٦٢٣/١ وقال : « الدليمي والحافظ عبد القادر بن عبد الله الرهاوى في الأربعين عن أبي هريرة . وقال الرهاوى : غريب تفرد بذكر الصلاة فيه إسماعيل بن أبي زياد الشامى وهو ضعيف جدا لا يعتد بروايته ولا بزيادته » وذكر السيوطي في « الجامع الكبير » ٦٢٣/١ حديثاً ثالثاً هو : « كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجدم » وقال : « هـ (ابن ماجه) ن (النسائي) والعسكري في الأمثال عن أبي هريرة » . على أن السيوطي ذكر نفس الحديث في الجامع الصغير ٩٤/٢ (ط . مصطفى الحلبي ، ١٩٣٩/١٣٥٨) وقال عنه : « أبو داود » عن أبي هريرة صح (صحيح) . وذكر هذا الحديث الألباني في « ضعيف الجامع الصغير وزيادته » ١٥٣/٤ وقال : « ضعيف » . وجاءت كلمة « أجدم » في « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى » في أحاديث أخرى ، ولم يذكر « المعجم » الحديث الذى أورده ابن تيمية ولكن أشار إلى حديث آخر صحيح عن أبي هريرة رضى الله عنه هو : « كل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجذماء » وأخرج الحديث أبو داود والترمذى والإمام أحمد في مسنده وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير ١٧٢/٤) . وقال النووى في « الأذكار » (ط . مصطفى الحلبي ، ١٩٥٢/١٣٧١) ص ٢٤٩ : « رويناه في سنن أبي داود وابن ماجه وغيرهما عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « كل كلام » وفي بعض الروايات « كل أمر لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجدم » وروى « أقطع » وهما بمعنى . هذا حديث حسن . وأجدم : بالجيم والذال المعجمة ، ومعناه : قليل البركة » .

وانظر ما سبق : جامع الرسائل ١٠٨/١ .

وقوله : ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ : جعله ثناءً . وقوله : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ : جعله تمجيذا . وقوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ ^(١) حمدٌ مطلق ، فإن الحمد اسم جنس له كمية ^(٢) وكيفية ، فالثناء تثنيته ^(٣) وتكبيره تعظيم كميته [المنفصلة] ^(٤) ، والمجد هو السعة والعلو ، فهو تعظيم ^(٥) كيفيته ^(٦) وقدرة وكميته المتصلة .

وذلك أن هذا وصف له بالملك ، والملك يتضمن القدرة وفعل ما يشاء . والرحمن الرحيم : وصف بالرحمة المتضمنة لإحسانه إلى العباد بمشيئته وقدرته أيضا ، والخير يحصل بالقدرة والإرادة التي ^(٧) تتضمن الرحمة ، فإذا كان قديرا مريداً للإحسان حصل كل خير ، وإنما يقع النقص لعدم القدرة ، أو لعدم إرادة الخير ، فالرحمن الرحيم الملك قد اتصف بغاية إرادة الاحسان وغاية القدرة ، وذلك يحصل به [كل خير] ^(٨) خير الدنيا والآخرة .

وقوله : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ مع أنه ملك الدنيا ، لأن يوم الدين لا يدعى أحدٌ فيه منازعة ، وهو اليوم الأعظم ، فما ^(٩) الدنيا في الآخرة إلا كما يضع أحدكم إصبه في اليم فلينظر بم يرجع ^(١٠) .

(١) كلمة « الله » ليست في (ز) .

(٢) ك ، ض : اسم جنس والجنس له كمية ...

(٣) ض : كميته . والكلمة في (ك) غير واضحة .

(٤) ك ، ض : وتكبيره وتعظيمه كيفيته . والمثبت من (ز) .

(٥) ك ، ض : تعظيم . والمثبت من (ز) .

(٦) ك : كيفيته .

(٧) ز : أي .

(٨) عبارة « كل خير » : ساقطة من (ك) ، (ض) ، وأثبتها من (ز) .

(٩) ك : كما ، وهو تحريف .

(١٠) ك : ترجع .

و « الدين » عاقبة أفعال العباد ، وقد يدل بطريق التنبيه - أو بطريق (١) العموم عند بعضهم - على ملك الدنيا ، فيكون له الملك وله الحمد ، كما قال تعالى : ﴿ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة التغابن : ١] ، وذلك يقتضى أنه قادر على أن يرحم ، ورحمته وإحسانه وصف له يحصل بمشيئته ، وهو من الصفات الاختيارية .

وفي الصحيح أن النبي ﷺ كان يعلم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها ، كما يعلمهم السورة من القرآن ، يقول : « إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : اللهم إني استخيرك بعلمك ، واستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم (٢) ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب (٣) ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر - ويسميه باسمه - خير لى فى دينى ودينى (٣) ومعاشى وعاقبة أمرى ، فاقدره لى ويسره لى ، ثم بارك لى فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر (٤) شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى ، فاصرفه عنى واصرفنى عنه ، واقدر لى الخير حيث كان » (٥) .

فسأله بعلمه وقدرته ومن فضله ، وفضله يحصل برحمته . وهذه الصفات هى جماع صفات الكمال ، لكن العلم له عموم التعلق : يتعلق بالخالق والمخلوق ،

(١) ك ، ض : وبطريق .

(٢ - ٣) : ساقط من (ز) .

(٣) ودينى : ليست فى (ز) .

(٤) ز : وإن كنت تعلم أنه

(٥) الحديث عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه فى : البخارى ٥٦/٢ (كتاب التهجد ، باب ما جاء فى التطوع) ، ٨١/٨ (كتاب الدعوات ، باب الدعاء عند الاستخارة) ، ١١٨/٩ (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : قل هو القادر) ؛ سنن أبى داود ٨٩/٢ ، ٩٠ (كتاب الوتر ، باب فى الاستخارة) ؛ سنن الترمذى ٢٩٨/١ - ٢٩٩ (كتاب الوتر ، باب ما جاء فى صلاة الاستخارة) ؛ سنن النسائى ٦٦/٦٠ (كتاب النكاح ، باب كيف الاستخارة) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٣٤٤/٣ .

والموجود والمعدوم . وأما القدرة فإنما تتعلق [بالممكن ، والإرادة إنما تتعلق بالموجود المخلوق ، والرحمة أخص منها فإنما تتعلق] ^(١) بالمخلوق ، وكذلك الملك إنما يكون ملكا على المخلوقات .

فالفاتحة اشتملت على الكمال في الإرادة ، وهو : الرحمة ، وعلى الكمال في القدرة ، وهو : مالك يوم الدين . وهذا وهذا إنما يتم بالصفات الاختيارية ، كما تقدم . والله سبحانه وتعالى أعلم ^(٢) .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ك) ، (ض) . وأثبتته من (ز) .

(٢) ز : والله أعلم . وبعد هذه العبارة (ز) : والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبيه محمد وآله وصحبه وسلم . وفي (ك) بعد كلمة « أعلم » : آخر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه .